

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثانى

من القصر فى علم المعانى إلى آخر علم المعانى

طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م

الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الخامس القول فى القصر

أقسام القصر :

القصرُ حقيقىٌّ ، وغيرُ حقيقىٍّ (١) . وكل واحد منهما ضربان :

(١) القصر فى اللغة: الحبس، وفى الاصطلاح: تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص، والشىء الأول هو المقصور، والثانى هو المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره، وبهذا تكون جملة القصر فى قوة جملتين، ويكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه. وقد يصرح فى القصر بالجملتين معاً كما سيأتى فى القصر ولكن ببل وليس. ومن أغراض القصر أيضاً أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره فى الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هى للقصر بأدواته الآتية، وبهذا يطل ما ذهب إليه بعض مؤلفى عصرنا من التعميم فى تعريف القصر، ليشمل نحو قول الشاعر:

أرونى أمةً بلغتُ منها بغير العلم أو حدِّ اليماني

وقوله تعالى: آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ وقولك: «زيد مقصور على الكتابة» مع أن القصر فى الآية والمثال معنى أولى لا ثانوى، والبيت من الاستثناء فى الإثبات، وسيأتى.

والقصر الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لكل ما عدا المقصور عليه، كقولك «ما خاتم الرسل إلا محمد». والقصر غير الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لبعض ما عدا المقصور عليه، كقولك «زيد كاتب لا شاعر» فهو يفيد نفى الشعر فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما، القصر غير الحقيقى هو الذى يُسمى القصر الإضافى.

قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف^(١) . والمراد الصفة المعنوية^(٢) لا النعت .

والأول من الحقيقي كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ؛ لأنه ما من متصوّر إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر^(٣) .

والثاني منه كثير ؛ كقولنا « ما في الدار إلا زيد »^(٤) . والفرق بينهما ظاهر ؛

(١) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا تتجاوز فيه الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٢) هي كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره ، وإن كان هو صفة في نفسه ؛ فيدخل في ذلك نحو « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » من قصر الموصوف على الصفة ، أي ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ، وكذلك قوله تعالى : آية ٣ سورة الزمر ﴿ ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوي ؛ لأنه لا يتأتى قصر بينه وبين موصوفه خلوهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصر عن كونه قصر موصوف على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدأ على خبر أم كان قصر فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه في الحقيقة قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان كل من المبتدأ والخبر يدل على ذات نحو « ما الباب إلا ساج » أول في أحدهما حتى يكون صفة ، فالمراد في هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجاً ، وهكذا .

(٣) قد يوجد هذا النوع من القصر في الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى في آية ٩٠ سورة المائدة : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان ﴾ وقول الشاعر :

هل الجودُ إلا أن تجودَ بأنفسِ
على كل ماضى الشفرتين صقيل
وقد تكلفوا هذا المثال - إنما الله تعالى متصّف بكل كمال منزّه عن كل نقص - لقصر الموصوف على الصفة قصرًا تحقيقيًا صادقًا .

(٤) يعنى من البشر ، لأنه هو المقصود في مثل هذا ، وإلا فالدار يوجد فيها متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه في ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر الإضافي ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا ينال العُلا إلا فتى شرفُتْ
خلالُه فأطاع الدهرُ ما أمرا

فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة ، وفي الثاني يمتنع ، وقد يُقصد به^(١) المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور ، فينزل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقي : تخصيص أمر بصفة دون أخرى^(٢) أو مكان أخرى ، والثاني منه : تخصيص صفة بأمر دون آخر^(٣) أو مكان آخر . فكل واحد منهما ضربان ، والمخاطب بالأول من ضربى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر) من يعتقد الشركة^(٤) ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعاً في الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني ؛ فالمخاطب بقولنا : « ما زيد إلا كاتب » من يعتقد أن زيداً كاتب وشاعر ، وبقولنا « ما شاعر إلا زيد » من يعتقد أن زيداً شاعر لكن يدعى أن عمراً أيضاً شاعر ، وهذا يسمى قصر أفراد ؛ لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف ، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة .

والمخاطب بالثاني من ضربى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر) إما من يعتقد العكس ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بغير

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمى قصرًا ادعائياً ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادعاء ، كما سبق ، والمراد المبالغة في كمال الصفة في الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً ادعائياً قول الله تعالى آية ٢٨ سورة فاطر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ؛ لأن غيرهم قد يخشاه أيضاً ولكن لا اعتداد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذمارَ وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ؛ فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضاً ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ؛ ليفترق القصر الإضافى عن الحقيقي ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما زيد كاتب لا شاعر » ولا غير ذلك من الصفات - والباء في التعريف داخل على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ويشمل أيضاً ما فوق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضاً ؛ فلا يكون من الإضافى نحو « إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس » .

(٤) مثل اعتقاد الشركة في ذلك ظنها وتجويزها مطلقاً ، وكذلك يقال في اعتقاد العكس الآتى ؛ لأن كل هذا يقابل التساوى الآتى في قصر التعيين .

تلك الصفة عوضاً عنها في الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضاً عنه في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصرَ القلب ؛ لقلبه حُكْم السامع ، وإما من تساوى الأمران عنده ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصرَ تعيين ؛ فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا « ما قائم إلا زيد » من يعتقد أن عمراً قائم لا زيدا ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه (١) .

* وشرط قصرِ الموصوفِ على الصفةِ إفراداً عدم تنافى الصفتين (٢) ؛ حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا شاعر » كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك ، لا كونه مفحماً لا يقول الشعر ؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما . وشرط قصره قلباً تحققُ تنافيهما ؛ حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا قائم » كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ؛ ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثاني في القصر الإضافي ، وهو التخصيص بشيء مكان شيء ، وقد جعل السكاكي قصر التعيين من الضرب الأول وهو التخصيص بشيء دون شيء ، فجعله شاملاً لقصر الأفراد وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثاني خاصاً بقصر القلب ، والخطب في ذلك سهل .

هذا والمقام الداعي إلى القصر في الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب في قصر الأفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطب في قصر التعيين ، وإنما لم تجر هذه الأقسام في القصر الحقيقي ؛ لأن القصر فيه بالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه على الإطلاق فلا يتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم الحقيقي إلى ذلك أيضا ، والقصر الادعائي لا يجرى في الإضافي كما جرى في الحقيقي ؛ لأنه فيما قيل لم يقع في كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلي من إتيانه في الإضافي، ويمكن أن يكون من الإضافي الادعائي قول الشاعر :

هَلِ الْجُودُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِأَنْفُسِ عَلَى كُلِّ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ

إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة ، والرد على من يعتقد خلاف ذلك .

(٢) لم يذكر هذا الشرط في قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن الموصوفات لا تكون إلا

متنافية .

غيرها^(١) . وقصر التعيين أعمّ ؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضى جواز اتصافه بهما معاً ولا امتناعه ، وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين ، من غير عكس^(٢) . وقد أهمل السكاكي^(٣) القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين فى قصر الأفراد^(٤) ، ولم يشترط فى قصر الموصوف أفراداً عدم تنافى الصفتين^(٥) ، ولا فى قصره قلباً تحقق تنافيهما^(٦) .

* * *

-
- (١) تكون فائدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ فى اعتقاد العكس ؛ لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .
- (٢) أى لغوى ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو القلب .
- (٣) ص ١٥٦ - المفتاح .
- (٤) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئاً ، وقد سمي ذلك قصر أفراد ، ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها .
- (٥) لدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره فى قصر الأفراد عنده ، وقصر التعيين لا يشترط فيه ذلك .
- (٦) لأنه قد يأتي فى نحو « ما زيد إلا شاعر » لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ، ولا تنافى بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب فى تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ؛ فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمريبات على أقسام القصر

تمرين - ١

(١) هل القصر فى البيت الآتى حقيقى أو إضافى ؟

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما فائدة هذا التقسيم بلاغة؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين - ٢

(١) من أى القصرين - قصر الموصوف على الصفة أو العكس ؟ - قول الشاعر

وما المرء إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب فى الهالكين عريق

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر صفة على موصوف وبالعكس ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟

تمرين - ٣

(١) هل القصر فى البيت الآتى قصر أفراد أو قصر تعيين ؟

فإن كان فى لبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلا غمده والحمائلُ

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال فى الأقسام الثلاثة ؟

تمرين - ٤

(١) هل من القصر الحقيقى أو الادعائى قول الشاعر ؟

وما البأسُ إلا حملُ نفسٍ على السرى وما العجزُ إلا نومةٌ وتشمسُ

(٢) هل يأتى القصر الادعائى فى القصر الإضافى ؟ وأيها أبلغ : الحقيقى أم الادعائى ؟

طُرُقُ القصر

وللقصر طرق ؛ منها :

١ - العطف^(١) كقولك في قصر الموصوف على صفة أفراداً : « زيد شاعر لا كاتب » ، أو « ما زيد كاتباً بل شاعر »^(٢) وقلباً : « زيد قائم لا قاعد » ، أو « ما زيد قاعداً بل قائم »^(٣) ، وفي قصر الصفة على الموصوف أفراداً أو قلباً بحسب المقام : « زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائماً بل زيد »^(٤) .

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالةً على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفى ، وبليته النفى والاستثناء ، وإنما ، فالتقديم . وإنما كان التقديم آخرها ؛ لأن دلالته على القصر ذوقية لا وضعية كما يأتي . ولا تنحصر طرق القصر في هذه الطرق التي ذكرها ؛ لأن منها ضمير الفصل وتعريف المسند بالجنسية كما سبق في الكلام عليه في الجزء الأول .

(٢) إنما ذكر « بل » بعد النفي لأنها بعد الإثبات تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيد بعد النفي .

(٣) جرى في هذا على مذهبه من اشتراط التنافي بين الصفتين في قصر القلب واشتراط عدمه في قصر الأفراد ؛ فلا يمكن اجتماعهما في مثال واحد ، والخطب في ذلك سهل .

(٤) إنما جمع قصر الصفة على الموصوف أفراداً أو قلباً في مثال واحد ؛ لأنه لا يشترط في قصر الأفراد فيه عدم تنافي الاتصافين اتفاقاً ، فلا يتنافى هو وقصر القلب في ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام في مثال واحد ، وإنما لم يذكر مثالاً لقصر التعيين في الموضوعين ؛ لأن كل ما يصلح مثالاً لقصر الأفراد أو القلب يصلح مثالاً له كما سبق ، وقد ادعى عبد القاهر أن قصر التعيين لا يأتي في طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن « لا » لا تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل تنفي عنه أنه قد كان منه دون الأول : فهي عنده لقصر القلب دون الأفراد . والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتي كلها فيما ذكر من حروف العطف ، وأن القصر الحقيقي يأتي فيها أيضاً ، كما تقول : « محمد خاتم الأنبياء لا غيره » ، وأن « لكن » العاطفة تفيد القصر أيضاً ، نحو : « ما الشاعر أبو تمام والمتنبى لكن البحترى » وقد تأتي لكن للاستدراك كما في قول الشاعر :

إن ابن ورفاء لا تُخشى بوادهُ لكن وقائعهُ في الحرب تُتظرُ

لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك « بل » قد تأتي للإضراب لا العطف ولكنهما مع هذا يحملان في إفادة القصر على « بل ولكن » العاطفتين كما ذكره ابن يعقوب ؛ لإفادتهما معنى العطف أيضاً . ولا يخفى أن مزية الإيجاز في القصر تتضاءل في طريق العطف .

٢ - النفي والاستثناء :

ومنها النفي والاستثناء^(١) كقولك في قصر الموصوف على الصفة **إفراداً**: « ما زيد إلا شاعر » ، **وقلباً** : « ما زيد إلا قائم » ، **وتعييناً** كقوله تعالى : ﴿ وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾^(٢) أى لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب^(٣) كما يكون ظاهر حال المدعى إذا ادعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها . وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين^(٤) : « ما قائم » أو « ما من قائم » أو « لا قائم إلا زيد » .

وتحقيق وجه القصر فى الأول^(٥) أنه متى قيل « ما زيد » توجه النفي إلى صفته

= للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، فتكون بلاغة القصر فيه أقل منها فى غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى . وما ورد فى الشعر من القصر بالعطف هذه الأبيات :

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والأدب
إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
كان دثــــاراً حلّت بلبوسه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر أيضاً ، لأنك إذا قلت « قام القوم إلا زيداً » قصرت عدم القيام على زيد ، ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير . فكأنك فى هذا المثال قلت « جاء القوم المغايرون لزيد » ، كما تقول « جاء القوم الصالحون » ، وهذا بخلاف قولك « ما جاءنى إلا زيد » فإن الغرض منه النفي والإثبات المحققان للقصر ؛ ولهذا يستعمل النفي والاستثناء عند الإنكار بخلاف الاستثناء من الإثبات .

(٢) آية ١٥ سورة يس .

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكذب قصر تعيين ، ولكن هذا لا يصح إلا بتزليل المشركين للرسول منزلة المترددين مبالغاً فى إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر فى ذلك قصر قلب لا تعيين .

(٤) كان عليه أن يكتفى أيضاً فى قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين ؛ لأن المنفى فى النفي والاستثناء غير مصرح به ، فيجوز فى قولك « ما زيد إلا شاعر » أن يكون لنفى أنه كاتب فيكون قصر أفراد ، وأن يكون لنفى أنه مفحم فيكون قصر قلب ، وكذلك القصر فى إنما وفى التقديم الآتين .

(٥) أى قصر الموصوف على الصفة .

لا ذاته ؛ لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفي ، فإذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر (١) .

وفي الثاني (٢) أنه متى قيل « ما شاعر » فأدخل النفي على الوصف المسلم بثبوته - أعنى الشعر - لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفي إليهما فإذا قيل « إلا زيد » جاء القصر (٣) .

٣ - إنما :

ومنها إنما ؛ كقولك في قصر الموصوف على الصفة **إفراداً** (٤) « إنما زيد كاتب » ، **وقلباً** « إنما زيد قائم » ، وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين « إنما قائم زيد » . والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى « ما وإلا » (٥) لقول المفسرين (٦) في

(١) لتحقق النفي والإثبات المحقق للقصر .

(٢) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٣) لتحقق النفي والإثبات كما سبق ، ولا يخفى أن دلالة النفي والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره في تحقيق إفادته القصر ، هذا ولا فرق في إفادة النفي والاستثناء القصر بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر في « ما » ، « ولا » ، « وإلا » :
وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمناً
وقول الآخر في « لا وغير » :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب

(٤) يرى عبد القاهر أن « إنما » لا تستعمل في الكلام البليغ إلا في قصر القلب . والحق أنها تستعمل فيه وفي غيره ، ومن قصر الأفراد فيها قوله تعالى : آية ٦٠ سورة التوبة ﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾ الآية ٠٠) إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ؛ فلا يكون القصر في ذلك قصر قلب .

(٥) لا يخفى أن دلالة « إنما » على القصر بالوضع ، فلا يُحتاج إلى دليل في دلالتها عليه ، وإنما جعلها متضمنة معنى « ما وإلا » ولم يجعلها مرادفة لهما ، لما سيأتى من الفرق بينها وبينهما ، وشرط المترادفين أن يكونا متحدين معنى وإفراداً وتركيباً .

(٦) أى من الذين يحتج بهم في اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾^(١) بالنصب: معناه ما حرم عليكم إلا الميته ، وهو المطابق لقراءة الرفع^(٢) لما مرَّ في باب « المنطلق زيد » ، ولقول النحاة^(٣) : « إنما » لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه ، ولصحة انفصال الضمير معها^(٤) كقولك : « إنما يضرب أنا » كما تقول : « ما يضرب إلا أنا » ، قل الفرزدق :
 أنا الذائدُ الحامي الذمَّارَ وإنما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي^(٥)
 وقال عمرو بن معديكرب :

قد علمت سلَمَى وجاراتها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا^(٦)

قال السكاكي^(٧) : ويُذكرُ لذلك وجه لطيف يُسندُ إلى علي بن عيسى الربيعي وهو أنه لما كانت كلمة « إن » لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ، ثم اتصلت بها « ما » المؤكدة لا النافية - كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو - ناسب أن يُضمَّن

(١) آية ١٧٣ سورة البقرة .

(٢) هي قراءة ﴿ إن ما حَرَّمَ عليكم الميته ﴾ وعليها يتعين أن تكون « ما » موصولة اسم إن؛ أي إن الذي حرم عليكم الميته ، وهي جملة مُعرِّفة الطرفين فتفيد القصر كما مر في الجزء الأول في نحو « المنطلق زيد » وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء « حَرَّمَ » للمفعول ، وهي غير مرادة له؛ لأن « ما » فيها يصح أن تكون كافة وأن تكون موصولة ، فلا يتم بها الدليل الذي يريده .

(٣) أي الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهةً ، وبهذا يحتج بقولهم .

(٤) فلا يجب فصله خلافاً لابن مالك . بدليل قوله تعالى : آية ٨٦ سورة يوسف ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ والحق أن الضمير إذا كان محصوراً فيه وجب فصله وتأخيره ، وإلا أتى به متصلاً كما في الآية ؛ لأن الجار والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير ، ووجه الاستدلال بذلك أن وصل الضمير ممكن في إنما ، والانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا تعذر هنا إلا بكونها في معنى « ما » ، و « إلا » .

(٥) هو لهمَّام بن غالب المعروف بالفرزدق ، والذائد : من الذوذ وهو الدفع . والذمار : ما يلزم الشخص حمايته من أهل ومال ونحوهما ، مأخوذ من الذمر وهو الحث ؛ لأن ما تجب حمايته كانوا يتذامرون أي يحث بعضهم بعضاً على حمايته ، والأحساب : جمع حسب وهو ما يعده الشخص من مفاخر نفسه وأبائه ، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو ؛ ولهذا فصل الضمير وأخره لأنه المحصور فيه .

(٦) قوله « قطر » مضعف قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة . والشاهد في فصله

الضمير بعد « إلا » ، وأن « إنما » يفصل الضمير بعدها مثلها .

(٧) ص ١٥٨ - المفتاح .

معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد^(١) ؛ فإن قولك « زيد جاء لا عمرو » - لمن يردد المجيء الواقع بينهما - يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحاً وفى الآخر ضمناً .

٤ - التقديم : ومنها التقديم^(٢) كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفراداً** : « شاعر هو » لمن يعتقده شاعراً وكاتباً ، **وقلباً** : « قائم هو » لمن يعتقده قاعداً^(٣) ، وفى قصر الصفة على الموصوف **إفراداً** : « أنا كَفَيْتُ مُهَمَّكَ » بمعنى وحدى ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتماه مهمه ، **وقلباً** : « أنا كَفَيْتُ مُهَمَّكَ » بمعنى لا غيرى ، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم^(٤) .

(١) ردُّ هذا بأنه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفيد القصر لإفاده نحو « إن زيدا لقائم » واللازم باطل ؛ فبطل اللازم .

هذا وقد اختلف فى إفادة « أنما » بفتح الهمزة القصر ؛ فقليل : إنها تفيده مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : آية ١١٠ سورة الكهف ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ ﴾ وهو من القصر الإضافى ، والمعنى : ما أوحى إلىَّ إلا التوحيد أى لا الشرك . ومن القصر بإنما قول الشاعر :

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقول الآخر :

وما لامرئ طول الخلود وإنما يخلِّده طول الثناء فيخلِّد

(٢) هو ثلاثة أقسام : أولها تقديم المسند إليه على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول كقول المتنبى :

وما أنا أسقمتُ جسمى به ولا أنا أضرمتُ فى القلب ناراً

وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول ، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم بعض القيود على نحو ما سبق فى باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهبُ

وأما تقديم بعض المعمولات على بعض فقد سبق الخلاف فى إفادته القصر بين الجمهور

وابن الأثير فى الجزء الأول .

(٣) المثالان من تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو إنما يفيد القصر إذا كان المبتدأ معرفة

والخبر نكرة .

(٤) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى الجزء الأول .

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع^(١) .

الثاني : أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفى جميعاً بالنص ؛ فلا يُترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار ، كما إذا قيل : « زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافي » ، أو « زيد يعلم النحو وعمرو وبكرٌ وخالد » فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير »^(٢) ، وفي معناه « ليس إلا » أى لا غير النحو أو لا غير زيد . وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى^(٣) .

الثالث : أن النفي^(٤) لا يجمع الثاني ؛ لأن شرط المنفى بـ (لا) ألا يكون منفيًا قبلها بغيرها ، ويجمع الأخيرين ، فيقال : « إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتينى لا عمرو » لأن النفي فيهما غير مصرح به^(٥) كما يقال « امتنع زيد عن المجيء لا عمرو » .

(١) فدلالته على القصر بالذوق والبحث في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تُنافى الدلالة الوضعية في الثلاثة الأولى البحث عنها في علم المعاني ؛ لأنه لا يُبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التي تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعاني .
(٢) ببناء « غير » على الضم ، وقيل : إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد « ليس » وهو مردود بقول الشاعر :

جواباً به تنجو اعتمد فوربتنا لعن عمل أسلفت لا غير تُسأل

وقيل : إن « لا » في ذلك لنفي الجنس لا للعطف ، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم

أو عالم في المثالين ، وتكون مع هذا للقصر حملاً على « لا » العاطفة لأنها بمعناها .

(٣) أى بحسب الأصل ، وقد تجيء على خلافه ، كما تقرأ في التقديم : « ما أنا قلت

هذا » بالنص على المنفى دون المثبت ، وكما يقال في النفي والاستثناء : « ما قام القوم إلا زيد »

بالنص على المثبت والمنفى معاً ، والاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر .

(٤) يعنى النفي « بلا » كما يؤخذ من توجيهه له ، ولأن المراد أن طريق القصر بلا - لا

يجمع طريق النفي والاستثناء ، وقد جاء ذلك في كلام المولدين كقول الحريري :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

أما النفي بغير « لا » فيجمع النفي والاستثناء ولا وجه للفرق بينهما إلا السماع .

(٥) بخلاف الثاني لأنه يصرح فيه بأداة النفي ، وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

قال السكاكى^(١) : « شرطُ مجامعته للثالث ألاَّ يكون الوصف مختصاً بالموصوف^(٢) كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾^(٣) فَإِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ الاستجابة لا تكون إلاَّ ممن يسمع . وكذا قولهم « إِنَّمَا يُعَجِّلُ مَنْ يَخْشَى الْفُوتَ » ، قال الشيخ عبد القاهر^(٤) : « لا تحسن مجامعته له فى المختص كما تحسن فى غير المختص ، وهذا أقرب^(٥) ، قيل : ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ ﴾^(٦) ، وإما مع التأخير ، كقولك : « ما جاءنى زيد وإنما جاءنى عمرو » وفى كون نحو هذين مما نحن فيه نظر^(٧) .

الرابع : أن أصل الثانى أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره^(٨) كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحاً من بعيد : « ما هو إلاَّ زيد » إذا وجدته يعتقد غير زيد ويُبصرُ على الإنكار، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٩) وقد يُنزَلُ المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له الثانى إفراداً، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾^(١٠) أى أنه ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى

(١) ص ١٥٩ . المفتاح .

(٢) أى بالنظر إلى الوصف فى نفسه وإن كان مختصاً بالموصوف بحسب المقام الذى

اقتضى قصره عليه .

(٣) آية ٣٦ سورة الأنعام .

(٤) ص ٢٢٩ - دلائل الإعجاز .

(٥) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التأكيد ، هذا والسكاكى يناقض هنا ما سبق له فى الكلام على تقديم المسند إليه ؛ لأنه هنا أجاز التخصيص مع اختصاص الوصف فى نفسه بالموصوف ، وهناك منعه فى نحو قولهم « شر أهرّ ذا ناب » لأن المهرّ لا يكون إلاَّ شراً ، أى لأن الوصف فى نفسه مختص بالموصوف ؛ فلا فائدة فيه للتخصيص .

(٦) آية ٢١ ، ٢٢ سورة الغاشية .

(٧) لأن النفى فيهما بغير « لا » .

(٨) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يجهله المخاطب وينكره ، لا الجهل بالفعل لأن الجهل

بالفعل شرط فى القصر مطلقاً .

(٩) آية ٦٢ سورة آل عمران .

(١٠) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

التبرى من الهلاك ؛ نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه^(١) . ونحوه : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾^(٢) ؛ فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في معرض من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه ، أو قلباً ؛ كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار: ﴿ إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾^(٣) أى أنتم بشر لا رسل ، نزلوا المخاطبين^(٤) منزلة من ينكر أنه بشر لاعتقاد القائلين^(٥) أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة . وأما قوله تعالى^(٦) حكاية عن الرسل: ﴿ إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده ﴾ فمن مجازاة الخصم للتبكيك والإلزام والإفحام^(٧) ؛ فإن من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو

(١) فكأنهم يعتقدون الشركة بين الرسالة والتبرى من الهلاك ، وبهذا كان القصر على الرسالة قصر أفراد ، والاعتبار المناسب في ذلك هو الإشعار بعظم ذلك الأمر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ؛ لأن محط القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازم استعظامهم هلاكه .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة فاطر . (٣) آية ١٠ سورة إبراهيم .

(٤) هم الرسل لأنهم مخاطبون في الآية ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ .

(٥) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب في الآية لتنزيل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول ؛ فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر في كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل في القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألا يكون من تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر أفراد على معنى أن الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدعون في زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أنتم إلا بشر مثلنا ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(٦) أى بعد قول المشركين السابق - آية ١١ سورة إبراهيم .

(٧) مجازاة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثاني . - القصر في قول الرسل ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ قصر صوري يقصد منه المشاكلة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى في المجازاة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجرد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاءهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجازاة لا الرد عليهم ؛ لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هي ثابتة عندهم .

لا يخالف فيه ؛ أن يعيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك : « أنت من شأنك كَيْتَ وَكَيْتَ » فتقول : « نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم » ، فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : « إن ما قلت من أنا بشر مثلكم هو كما قلت لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد منَّ علينا بالرسالة » . وأصل الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، على عكس الثانى ، كقولك « إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم » لمن يعلم ذلك ويُقرُّ به ، تريد أن ترفقه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب^(١) وعليه قول أبى الطيب :

إنما أنت والد والأبُ القَا طعُ أحنى من واصل الأولاد^(٢)

لم يُردُ أن يُعلِّمَ كافوراً أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافر فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يُذكره منه بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجهه .

وقد ينزلُ المجهولُ منزلة المعلوم لادِّعاء المتكلم ظهوره فيستعملُ له الثالث^(٣) نحو : ﴿ إنما نحن مُصلِحون ﴾^(٤) ادَّعوا أن كونهم مُصلِحين ظاهر جليّ ، ولذلك جاء ﴿ ألا إنهم همُ المُفسِدون ﴾^(٥) للردِّ عليهم مؤكداً بما ترى : من جعل الجملة اسميةً وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل^(٦) والتصدير بحرف التنبيه^(٧) ثم بـ « إن » .

(١) هذا هو المقصود من « إنما » التعريض به ، وتكون فائدة القصر المبالغة فى الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والخطاب لكافور الإخشيدي ، يعنى أنه بمنزلة الولد لمولاه ابن الإخشيدي . والأب القاطع : هو الذى لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنى من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنو الأب على أولاده أشد من حنو الأولاد على أبيهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .

(٣) يقصد من استعماله هنا الرد على المخاطب كغيره من أدوات القصر ولا يقصد منه التعريض كما قصد منه فى أصل استعماله .

(٤) آية ١١ سورة البقرة . (٥) آية ١٢ سورة البقرة .

(٦) هو « هم » .

(٧) هو « ألا » .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْعَبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء^(١)

ادّعى أن كون مصعب كما ذهب جليّ معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدّعوا في كل ما يصفون به ممدوحهم الجلاء ، وأنهم قد شُهِروا به حتى إنه لا يدفعه أحد؛ كما قال الآخر :

وتعدّلتني أفناءُ سعدٍ عليهمُ وما قلتُ إلا بالتي علمتُ سعد^(٢)

وكما قال البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً حتى يُسلمها إليه عداه^(٣)

واعلم أن لطريق « إنما » مزية^(٤) على طريق العطف ، وهي أنه يُعقلُ منها إثباتُ الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقرتْ وجدتها أحسن ما تكون موقعاً إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها^(٥) كما في قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولو

(١) هو لعبد الله بن قيس الرقيّات في مدح مصعب بن الزبير بن العوام . وقوله « تجلّت » بمعنى تكشفت ، وهذا من أبلغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك بن مروان على مدحه له بقوله :

يأتلج التاجُ فوقَ مفرّقه على جبين كأنه الذهبُ

(٢) هو الخطيئة جرول بن أوس في مدح بغيض بن شماس وقومه بنى أنف الناقة وذم الزبرقان بن بدر وقومه ، وجميعهم يتمون إلى سعد بن مناة ، والأفناء جمع فنن : وهو الجماعة ، والشاهد في دعواه أن ما قاله في حق ممدوحه لا يدفعه أحد من سعد ، وقيل : إن الرواية « أبناء سعد » لأن أفناء الناس أخلاطهم ، ولا يريد الخطيئة ، وكذلك روى « الذى » بدل « التى » والشاهد في دعواه عليهم بذلك .

(٣) هو للوليد بن عبّيد المعروف بالبحترى من أبيات له في مدح أبي العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى ، والشاهد فيه كالذى قبله .

(٤) توجد هذه المزية أيضاً في طريق النفي والاستثناء وطريق التقديم .

(٥) هذا إنما يكون إذا استعملت في أصلها وهو ما يعلمه المخاطب ولا ينكره كما سبق ؛ لأنه إذا كان ذلك معلوماً له فلا يهتم المتكلم إفادته له ، وإنما يهتم المعنى الآخر الملوّح إليه بالتعريض ؛ لأنه هو الذى يجهره المخاطب ويصير على إنكاره .

هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن « إنما » يقصد منها دائماً التعريض ولو استعملت =

الألباب ﴿١﴾ فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل ؛ فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا ﴾ (٢) وقوله : ﴿ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ (٣) المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر (٤) ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أرزق محبتها وإنما للعبد ما زُرَقاً (٥)

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له في وصلها ، فيئس من أن يكون منها إسعاف به . وقوله :

وإنما يعذرُ العَشَّاقَ من عَشَقًا (٦)

يقول : ينبغى للعاشق ألا ينكر لوم من يلومه ؛ فإنه لا يعلم كُنه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فيعذره . وقوله :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نُجِحُ الأمور بقوة الأسباب

= في المجهول المنزّل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتي في كثير منها الكلام والقصد بالخير بعدها أن تُعلم السامع أمراً قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر كالذي دُكر .

(١) آية ١٩ سورة الرعد .

(٢) آية ٤٥ سورة النازعات .

(٣) آية ١٨ سورة فاطر .

(٤) ٢٣٠ دلائل الإعجاز .

(٥) هو للعباس بن الأحنف ، وفي رواية « مودتكم » بدل « محبتها » ، والإضافة في ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله ، وقبل البيت :

كان لى قلبٌ أعيش به فاصطلى بالنار فاحترقا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضاً :

يلوم في الحب من لم يدّر طعم هوى وإنما يعذرُ العَشَّاقَ من عَشَقًا

فاليومَ حاجتُنَا إليك وإِنَّمَا ————— يُدعى الطيبُ لساعة الأوصاب^(١)

يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح في أمرى حين جعلتك السبب إليه ،
وفي الثانى : إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة
وعوّلنا على فضلك ، كما أن من يعول على الطيب فيما يعرض من السقم كان قد
أصاب فى فعله .

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا^(٢) يقع بين الفعل والفاعل
وغيرهما^(٣) ؛ ففي طريق النفى والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء ،
كقولك فى قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلباً بحسب المقام : « ما ضرب زيد إلا
عمراً »^(٤) وعلى الثانى لا الأول قوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن
اعبدوا الله ربى وربكم ﴾^(٥) لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئاً ؛ إذ
ليس الكلام فى أنه زاد شيئاً على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى أنى لم أترك ما
أمرتنى به أن أقوله لهم إلى خلافه^(٦) لأنه قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك يا
عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما لم أمرك أن تقوله ؛ فإنى أمرتك أن تدعوا

(١) هما كما فى - معجم الشعراء - لمحمد بن أحمد العمروانى فى عبید الله بن يحيى
ابن خاقان ، وقيل : إنهما للزبير بن بكار ، وقيل : إنهما للباخرزى . والسبب : كل ما يتوصل
به إلى غيره ، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الرابع من جهة استعمالها فيما
يجهله المخاطب أو يعلمه ؛ لأنهما كما قال صاحب الأطول : مستويا النسبة إلى المعلوم والمجهول .

(٢) فى التمثيل لأقسام القصر وطرقه ؛ لأن ما ذكره فى ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما

ندر .

(٣) مما سيذكره وما يذكره كالتمييز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصدر المؤكّد والمفعول

معه .

(٤) يجوز فى هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند إلى الفاعل مقصوراً على المفعول ، فيكون
من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقصوراً على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون
من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال فى قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٥) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٦) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

الناس إلى أن يعبدوني ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيري ، بدليل قوله تعالى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (١) .

وفي قصر المفعول على الفاعل : « ما ضربَ عمرًا إلا زيد » .

وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو (٢) « كسوت وظننت » ، « ما كسوت زيدًا إلا جبة » ، و « ما ظننت زيدًا إلا منطلقًا » .

وفي قصر الثاني على الأول « ما كسوتُ جبة إلا زيدًا » ، و « ما ظننت منطلقًا إلا زيدًا » . وفي قصر ذي الحال على الحال (٣) : « ما جاء زيد إلا راكبًا » .

وفي قصر الحال على ذي الحال : « ما جاء راكبًا إلا زيد » .

والوجه في جميع ذلك (٤) أن النفي في الكلام الناقص - أعني الاستثناء المفرغ - يتوجه إلى مقدرٍ هو مستثنى منه عام (٥) مناسب للمستثنى في جنسه وصفته ، أما توجهه إلى مقدرٍ هو مستثنى منه فلكون « إلا » للإخراج واستدعاء الإخراج مُخرَجًا منه ، وأما عمومته فليتحقق الإخراج منه ؛ ولذلك قيل : تأنيث المضمرة في « كانت » على قراءة أبي جعفر المدني : ﴿ إن كانت إلا صيحة ﴾ (٦) بالرفع ، وفي « ترى » مبنيا للمفعول في قراءة الحسن ﴿ فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم ﴾ (٧) برفع مساكنهم ، وفي « بقيت » في بيت ذي الرمة :

* فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ (٨) *

- (١) آية ١١٦ سورة المائدة .
- (٢) نحو « كسوت » كل فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، ونحو « ظننت » كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .
- (٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال في هذا المثال : إن زيدًا قصر على المجيء حال الركوب ، وقيل : إن المجيء هو الذي قصر على الركوب ، أما قصر الحال على ذي الحال فهو من قصر الصفة على الموصوف .
- (٤) هذا عودٌ إلى ما سبق من توجيه إفادة النفي والاستثناء القصر ، وقد سبق أن دلالة على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .
- (٥) لا فرق في هذا بين القصر الحقيقي والإضافي إلا بأن الإضافي يقدر فيه عام يراد به الخاص الذي يكون القصر بالإضافة إليه .
- (٦) آية ٢٩ سورة يس .
- (٧) آية ٢٥ سورة الأحقاف .
- (٨) هو لغيلان بن عتبة المعروف بذي الرمة من قوله :
- طوى النحر والأجزاء ما في غروضها
- فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء . وأما مناسبتة في جنسه وصفته فظاهرة ؛ لأن المراد بجنسه أن يكون في نحو « ما ضرب زيد إلا عمرًا » : أحدًا^(١) ، وفي نحو قولنا « وما كسوت زيداً إلا جبة » لباساً ، وفي نحو : « ما جاء زيد إلا راكباً » كائناً على حال من الأحوال ، وفي نحو « ما اخترت رفيقاً إلا منكم » : من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لو خير المنبرُ فرسانه ما اختار إلا منكمُ فارساً^(٢)

لما سيأتى إن شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارساً إلا منكم .

* والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالاً ، وعلى هذا القياس ، إذا كان النفي متوجهاً إلى ما وصفناه فإذا أوجب منه شيء جاء القصر^(٣) .

* ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك « ما ضرب إلا عمرًا زيد ، وما ضرب إلا زيد عمرًا ، وما كسوت إلا جبة زيداً ، وما ظننت إلا زيداً منطلقاً ، وما جاء إلا راكباً زيد ، وما جاء إلا زيد راكباً » . وقولنا « بحالهما » احتراز عن إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه ؛ كقولك في الأول : « ما ضرب عمرًا إلا زيد » فإنه يختل المعنى^(٤) ؛ فالضابط

= يصف بذلك ناقته . وقوله « طوى » بمعنى أضمر ، « والنحز » الدفع والنخس ، و« الأجزاء » جمع جرز وهي الأرض اليابسة التي لا نبات فيها ، و« الغروض » جمع غرض وهو الحزام ، والجراشع : المتفتحة الغليظة جمع جرشع .
(١) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٢) هو لإسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري ، وتقدير الشطر الثاني : « ما اختار فارساً من جماعة من الجماعات إلا فارساً منكم » والفارس ، في الأصل : راكب الفرس ، استعير في البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلي ، وكان السفاح العباسي قد خطب يوماً فأحسن ، فمدحه بذلك .

(٣) لتحقق النفي والإثبات المحققين لمعنى القصر .

(٤) لأنه ينقلب المقصور مقصوراً عليه ، وهو خلاف المراد ، ومن تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء قول الشاعر :

الناسُ ألبُّ علينا فيك ليس لنا إلا السيوفُ وأطرافُ القنا زردُ

أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي إلا^(١) ولكن استعمال هذا النوع - أعنى تقديمها - قليل؛ لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها^(٢) كالضرب الصادر من زيد في « ما ضرب زيد إلا عمراً » والضرب الواقع على عمرو في « ما ضرب عمراً إلا زيد » وقيل^(٣): « إذا أُخِّرَ المقصور عليه والمقصور عن « إلا » ، وقُدِّمَ المرفوع كقولنا « ما ضرب إلا عمرو زيداً » فهو على كلامين ، و« زيداً » منصوب بفعل مضمر ؛ فكأنه قيل « ما ضرب إلا عمرو » أى ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : مَنْ ضَرَبَ ؟ فقيل « زيداً » أى ضرب زيداً . وفيه نظر ؛ لاقتضائه الحصرَ في الفاعل والمفعول جميعاً^(٤) .

* وأما في « إنما » فيؤخَّرُ المقصور عليه^(٥) ، تقول « إنما زيد قائم » ، وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمراً ، وإنما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ، وإنما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة في السوق « أى « ما زيد إلا قائم » ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمراً ، وما ضرب زيد عمراً إلا يوم الجمعة ، وما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة إلا في السوق » ؛ فالواقع أخيراً هو المقصور عليه أبداً^(٦) ولذلك تقول : « إنما هذا لك ، وإنما لك هذا » أى ما هذا إلا لك ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا

-
- (١) فيكون هو المقصور عليه تأخراً معاً أو تقدماً معاً .
(٢) إنما جاز التقديم مع استلزامه ذلك ؛ لأنه في نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلاً .
(٣) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون في الكلام تقديم وتأخير .
(٤) أجيب عن هذا بأنه إنما يلزم من يجوز أن يُسْتثنَى شيئان أو أكثر بأداة واحدة دون عطف ، ولعل من قال إن نحو « ما ضرب إلا عمرو زيداً » على كلامين لا يجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر في الفاعل والمفعول جميعاً ويؤيد هذا أنه لو كان ممن يجوز ذلك لم يحتج إلى تقدير الفعل ثانياً ، بدليل أن من لا يجوز ذلك يرى في قوله تعالى : آية ٢٧ سورة هود ﴿ وما نراك أتبعك إلا الذين هم أرادلنا بادي الرأي ﴾ أنه لم يستثن فيه الموصول والظرف جميعاً يالا . وإنما الظرف منصوب مضمر تقديره اتبعوك بادي الرأي ، والراجع أن الكلام على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين ؛ لما يظهر فيه من التكلف .
(٥) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ، وقد يعرض ما يوجب تقديم المقصور عليه فيتقدم ، كقولك « إنما قمت » قصر فيه المتكلم على القيام ، فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .
(٦) إنما يكون الواقع أخيراً هو المقصور عليه إذا كان جزءاً مستقلاً في آخر الكلام ولو كان فضلة ؛ فالمقصور عليه في قولك « إنما جاء الذى أكرمته يوم الجمعة » ، هو الموصول مع =

أردت الجمع بين إنما والعطف فقل « إنما هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد يأخذ لا يعطى »^(١) . ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٢) وقولنا « إنما يخشى العلماء من عباد الله الله » ؛ فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله^(٣) .

=صلته ، وفى قولك « إنما جاءنى رجل عالم » هو الموصوف مع صفته ، وهكذا . وقد اعترض على ذلك بمواضع لا يظهر فيها أن الواقع أخيراً هو المقصور عليه . كقوله عليه السلام : « إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكل » أى لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله تعالى : آية ٩١ سورة المائدة ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ﴾ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف الأصل فى « إنما » ؛ لأمن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله فى الحديث « ليس لهم فيها إلا المأكل » فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(١) لأنه إذا اجتمع طريق « إنما » وطريق العطف يكون القصر مستفاداً من « إنما » والعطف مؤكداً له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيراً قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفى عصرنا إلى أن القصر ينسب فى ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ؛ فأجاز أن يقال « إنما محمود شاعر لا على » بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ما له من رتبة التابع فى الكلام ؛ لأن هذا يجعله تابعاً فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق « إنما » وطريق التقديم ، فقليل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيد « إنما » ؛ وهذا كما فى قول الشاعر :

ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الآخر :

أسامياً لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

والمقصود عليه فى ذلك هو المقدم كما هو ظاهر .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر ، وقضى برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء فتكون الخشية مجازاً

بمعنى الإجلال لا بمعنى الخوف ، كما قال الشاعر :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

(٣) هذا والمقصود عليه فى العطف « ببل ولكن » هو ما بعدهما ، وفى العطف « بلا »

هو المعطوف عليه قبلها ، وفى « التقديم » هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك =

* واعلم أن حُكْمَ « غير »^(١) حُكْمُ « إلا » في إفادة القصرين ؛ أي قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، وفي امتناع مجامعة « لا » العاطفة ؛ تقول في قصر الموصوف أفراداً : « ما زيد غير شاعر » ، وقلباً : « ما زيد غير قائم » ، وفي قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام : « لا شاعر غير زيد » .
ولا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد ولا عمرو .

* * *

= هو يأتي لا أخوه « فينسب القصر في ذلك إلي التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضاً : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال « في الدار سعيد لا محمود » وهو مردود بمثل ما سبق .

(١) مثلها « سوى » ونحوه من أدوات الاستثناء ؛ لأنه لا فرق بينها جميعاً في إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك في « سوى » قول الشاعر :

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنى إذن لصبور !!

تمرينات على طرق القصر

تمرين - ١

(١) بيّن لماذا أوتر القصر بالعطف على غيره في قوله تعالى : آية ٤٠ سورة الأحزاب ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم ولكن رسولَ اللَّهِ ﴾ ، وبين ما فيه من مزايا القصر .

(٢) بين طريق القصر ، والمقصور ، والمقصور عليه في قول الشاعر :

بك اجتمع الملكُ المبددُ شملهُ وضُمَّتْ قواصٍ منه بعد قواصِي

تمرين - ٢

(١) لماذا أوتر القصر بإنما في قول الشاعر :

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن هُمُ ذهبَ أخلاقهمُ ذهبوا

(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :

وإنَّ سنَّامَ المجدِ من آلِ هاشم بنو أم مخزومٍ ووالدك العبدُ

وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين - ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بـ (ال) القصر في قول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ وجدتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً

(٢) لماذا أوتر القصر بالنفي والاستثناء في قوله تعالى : آية ١٨ سورة العنكبوت

﴿ وإن تكذَّبوا فقد كذبَ أممٌ من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغُ المبين ﴾ وبيّنا في قوله : آية ٢١ سورة الغاشية ﴿ فذكرٌ إنما أنتَ مذكَّرٌ ﴾ .

تمرين - ٤

(١) ما هو طريق القصر ؟ وما هو المقصور عليه في قول الشاعر :

ما افترينا في وصفه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفي

(٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره ؟

تمرين - ٥

(١) لماذا قال الله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ ولم يُقدِّم الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) يأتي التوكيد لدفع التردد في نحو « إن زيداً شاعر » ، ويأتي قصر التعيين لدفع التردد في نحو « إنما زيد شاعر » ، فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما ؟

تمرين - ٦

(١) لماذا قدم المقصور عليه في قول الشاعر :

وما لي إلا آل أحمد شيعَةٌ وما لي إلا مذهب الحق مذهبٌ

(٢) بين موقع المقصور عليه في جملتيه في قول الشاعر :

ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم ولا أسألها إلا يداً بيد

تمرين - ٧

(١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :

في ليلة لا نرى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبها

(٢) بين الذي أفاد القصر من التقديم أو العطف في قول الشاعر :

للفتى من ماله ما قدمت يدها قبل موته لا ما اقتنى

(٣) هل من القصر قول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمراً أبك إلا الفرقدان

(٤) اختلف في إفادة الاستثناء من الإثبات بالقصر، فبين ما تختاره في ذلك .

* * *

الباب السادس القول في الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب ، وغير طلب .

الطلب يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ؛ لامتناع تحصيل الحاصل^(١) ، وهو المقصود بالنظر ههنا^(٢) . وأنواعه كثيرة :

أنواع الطلب :

التمنى : منها التمنى^(٣) ، واللفظ الموضوع له « ليت » ، ولا يشترط في التمنى الإمكان ، تقول : « ليت زيدا يجرى » ، وليت الشباب يعود » ، قال الشاعر :

(١) إذا استعمل الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله ، كقوله تعالى آية ١٣٦ سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، وقوله : آية ١ سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ فالعنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى في مراتب الكمال فيهما .

(٢) أما الإنشاء غير الطلبى فلا يقصد بالنظرها هنا ؛ لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ، ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتي في المكروه ، نحو « لعل الحبيب مريض » ولا طلب في مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه أفعال المدح والذم ، كنعم وبئس ، وأفعال التعجب ، فهى لإنشاء المدح والذم والتعجب ، وقبل : إنها أخبار تحمل الصدق والكذب ؛ ولهذا بئس أعرابى بنتت فقيل له : نعمت المولودة ، فقال : والله ما هى بنعمت المولودة . ومنه القسَم وصيغ العقود كبعث واشترت ، ومنه « رَبُّ » و « كم » الخبرية ؛ لدلالتهما على إنشاء الكثير أو التقليل ، وقيل : إنهما خبر لا لإنشاء .

(٣) هو طلب المحبوب الذى لا طمع فيه ؛ بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول ؛ فالأول كقول الشاعر :

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عَقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

والثانى كقول الآخر :

فيا ليت ما بينى وبين أحببى من البعد ما بينى وبين المصائب

* يا ليت أيام الصبا رواجعا (١) *

* وقد يُتمنى بـ « هل » (٢) كقول القائل « هل لى من شفيح » فى مكان يعلم أنه لا شفيح له فيه (٣) لإبراز التمنى - لكمال العناية به - فى صورة الممكن (٤) .
وعليه قوله تعالى حكايةً عن الكفار : « فهل لنا من شُعاء فيشفعوا لنا » (٥) وقد يتمنى بـ « لو » (٦) كقولك « لو تأتيني فتحدثنى » بالنصب (٧) .

قال السكاكى (٨) : وكأن حروف التنديم والتحضيض « هلاً ، وألاً بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولوما » مأخوذة منهما (٩) مركبتين مع « لا » و « ما » المزيدتين ، لتضمينهما معنى التمنى (١٠) ليتولد منه فى الماضى التنديم ، نحو « هلا أكرمت زيدا » وفى المضارع التحضيض ، نحو « هلاً تقوم » .

(١) هو من أرجوزة لعبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج ، وقد نصب الجزأين بليت على مذهب الكوفيين ، والبصريون على أن خبرها محذوف وتقديره « أقبلن رواجعاً ، أو تكون رواجعاً » .

(٢) استعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى فى علم البيان .

(٣) فتحمل على التمنى ؛ لأن الاستفهام لا يكون مع الجزم بانتفاء الشيء ، بل مع الجهل به .

(٤) هذا هو الحال الداعى إلى استعمال « هل » فى التمنى .

(٥) آية ٥٣ سورة الأعراف .

(٦) استعمالها فى التمنى مجاز أيضاً ، ونكتته الإشعار بعزة التمنى بإبرازه فى صورة ما لم يوجد ؛ لأن « لو » فى أصلها حرف امتناع لامتناع ، ومن ذلك قول مهلهل :
فلو نُشرِ المقابرُ عن كليبٍ فيخبرُ بالذئابِ أى زيرٍ

(٧) أى نصب « تحدث » لأنه إنما يكون بعد الطلب .

(٨) ١٦٦ - المفتاح .

(٩) أى من « هل ولو » اللتين للتمنى ، وهذا تكلف من السكاكى ، والنحويون على أنها موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر .

(١٠) يريد بتضمينهما ذلك : جعلهما دالّين عليه مطابقةً لا تضمناً .

وقد يتمنى بـ « لعل » فتعطي حكم ليت^(١) نحو « لعلنى أحج فأزورك » بالنصب ، لبعْدِ المرجوِّ عن الحصول^(٢) ، وعليه قراءة عاصم^(٣) فى رواية حفص : ﴿ لعلنى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ﴾ بالنصب .
الاستفهام : ومنها الاستفهام^(٤) .

والألفاظ الموضوعية له : « الهمزة » ، و « هل » ، و « ما » ، و « مَنْ » ، و « أى » ، و « كم » ، و « كيف » ، و « أين » ، و « أنى » ، و « متى » ، و « أيان » .

• فالهمزة لطلب التصديق^(٥) كقولك « أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ » . أو التصور^(٦) كقولك : « أدبِس فى الإناء أم عسل ؟ » أو : « أفى الخابية دبسك أم فى الزق ؟ » ولهذا لم يقبح « أزيد قام ؟ » و « أعمراً عرفت ؟ »^(٧) .

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها . وهذا مبنى على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجى ، واستعمالها فى التمنى مجاز أيضاً ، ومنه قول الشاعر :

أسرب القطا ، هل من يُعيرُ جناحه لعلنى إلى من قد هويتُ أطيرُ ؟

(٢) لا يخفى أن « لعل » لا تدل على بُعْدِ المرجوِّ حتى يشار بها إلى ذلك ، فالأحسن أن تجعل نكتته إظهار التمنى فى صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه .

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل فى التمنى حقيقةً ، وبعضها يستعمل فيه مجازاً ، وعلى هذا لا يكون هناك محلٌّ لذكرها فى علم المعانى ، وما ذكر لذلك من النكت والأعراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات .

(٣) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة غافر .

(٤) هو طلب حصول صورة الشيء فى الذهن بأدوات مخصوصة ؛ كالهمزة ونحوها مما

يأتى .

(٥) فى هذه الحال لا يذكر معها معادل، وإذا جاءت (أم) بعدها كانت منقطعة بمعنى

« بل » ، كقول الشاعر :

ولست أبالى بَعْدَ فَقْدِ مالكا أموتى ناء أم هو الآن واقعُ

(٦) ذكر له مثالين : أحدهما لطلب تعيين المسند إليه ، والثانى لطلب تعيين المسند ، وقد

يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتى فى الأمثلة ، ويكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه ، وفى طلب التصديق بنعم ، أو لا .

(٧) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المسئول

عنه زيداً بخصوصه وعمراً بخصوصه ، وذلك تصور ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به ، وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا بخلاف « هل » كما سيأتى .

المسئول عنه بها هو ما يليها ، فتقول « أضربت زيدا؟ » إذا كان الشك في الفعل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده^(١) ، وتقول « أأنت ضربت زيدا؟ » إذا كان الشك في الفاعل من هو؟ وتقول « أزيداً ضربت؟ » إذا كان الشك في المفعول من هو؟^(٢) .

● و « هل » لطلب التصديق فحسب ، كقولك « هل قام زيد؟ وهل عمرو قاعد؟ » ؛ ولهذا امتنع « هل زيد قام أم عمرو؟ »^(٣) وقُبِحَ « هل زيداً ضربت؟ » ؛ لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قُدِّم عليه^(٤) . ولم يقيح « هل زيداً ضربته؟ » ؛ لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدماً كما مر ، وجعل السكاكي^(٥) قُبِحَ نحو « هل رجل عرف » لذلك ، أى لما قبح له « هل زيداً ضربت » ، ويلزمه ألا يقيح نحو « هل زيد عرف » ؛ لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده لما سبق^(٦) . وعَلَّلَ غيره^(٧) القبحَ فيهما بأن أصل « هل » أن تكون بمعنى « قد » إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام .

(١) على هذا تكون إذا وليها الفعل لطلب التصديق ، وقد تقوم في ذلك قرينة على خلافه ؛ كذكر العادل في نحو « أجاى زيد أم عمرو؟ » ، فيكون المطلوب بها التصور ويكون المسئول عنه غير ما يليها .
(٢) أما إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلاً فيكون المطلوب بها التصديق نحو « أزيد قائم؟ » .

هذه أبيات للهمزة في هذه الأحوال :

إذن ألقى الذى لاقاه أمثالي
بسع رمين الجمـر أم بثمان؟
ويُحرم ما دون الرضا شاعر مثلى؟!
أطنينُ أجنحة الذباب يضير؟!

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلدٌ؟
فوالله ما أدرى وإن كنت دارياً
أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعراً
فدع الوعيدَ فما وعيـدك ضائرى

(٣) لأن وقوع المفرد فيه بعد « أم » دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشئيين مع العلم بثبوت الحكم ، فلا يصح اجتماعها و « هل » ، ويصح اجتماعها و « أم » المنقطعة لأنها بمعنى « بل » كقول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرِّحَا رجا الحرب أم أضحت بفُلج كما هيا

(٤) إنما لم يمتنع لجواز أن يكون « زيدا » مفعولاً لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه

(٥) ١٦٧ - المفتاح .

للاهتمام لا للتخصيص .

(٦) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام

لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم .

(٧) هو الزمخشري فى المفصل .

و « هل » تخصص المضارع بالاستقبال ؛ فلا يصح أن يقال « هل تضرب زيداً وهو أخوك؟ »^(١) كما تقول « أتضرب زيداً وهو أخوك؟ » ولهذين^(٢) - أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال - كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر ، كالفعل^(٣) ، أما الثاني^(٤) فظاهر ، وأما الأول^(٥) فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكمٌ بالثبوت أو الانتفاء ، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ؛ ولهذا^(٦) كان قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(٧) أدلّ على طلب الشكر من قولنا : « فهل تشكرون؟ » وقولنا : « فهل أنتم تشكرون؟ »^(٨) لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدلّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله^(٩)

(١) أى على أن الضرب واقع فى الحال كما يفهم عرفاً من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلية .

(٢) لا يخفى أن كون « هل » لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ؛ لأنه فى الحقيقة لا تأثير له فيه .

(٣) الكاف فى ذلك استقصائية ؛ لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم .

(٤) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاءه لاختصاصها بالفعل ظاهر .

(٥) هو اختصاصها بالتصديق .

(٦) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٧) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٨) مع ما فيه من التأكيد بال تكرير ؛ لأنه على تقدير « فهل تشكرون » ، ثم حذف الفعل

الأول فانفصل ضميره .

(٩) يمكن أن يؤخذ من هذا أن « هل » لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية

إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعانى من كل هذه المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة وبهل ؛ من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما « هل » فإنه لا يترجح فيها إثبات ولا نفي ،

ويمكنك أن تدرك هذا السؤال بهل فى هذه الآيات :

هل بالطلول لسائل ردُّ	أم هل لها بتكلم عهد
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة	وذبيان هل أقسمتم كل مفسم
ليت شعرى هل ثم هل آتينهم	أو يحولن دون ذاك حمَام

• وكذا من قولنا : « أفأنتم شاكرون » وإن كانت صيغته للثبوت ؛ لأن « هل » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهذا لا يحسن « هل زيد منطلق ؟ » إلا من البليغ^(١) .

*وهي قسمان : بسيطة ؛ وهي التي يطلب بها وجود الشيء ؛ كقولنا « هل الحركة موجودة ؟ » • ومركبة ، وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء ؛ كقولنا « هل الحركة دائمة ؟ »^(٢) .

• والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط^(٣) .

أما « ما » فقيل : يطلب به إما شرح الاسم^(٤) كقولنا « ما العنقاء ؟ » ، وإما ماهية المسمى ؛ كقولنا « ما الحركة ؟ » . والقسم الأول يتقدم على قسَمَى « هل » جميعاً ، والثاني يتقدم على « هل » المركبة دون البسيطة ؛ فالبسيطة في الترتيب واقعة بين قسَمَى « ما »^(٥) .

وقال السكاكي^(٦) : يُسأل بما عن الجنس^(٧) ؛ تقول « ما عندك ؟ » أى أى أجناس

(١) لأنه هو الذى يراعى دقائق النكت ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام .

(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ؛ لأن الهمزة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شان لعلم المعانى به .

(٣) لكنه تصورٌ مشوبٌ بشيء من التصديق ؛ لأن هذا شأن التصور المطلوب فى الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحياناً بالتصديق ، كقوله تعالى آية ١٤ سورة الصف : ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ .

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقته .

(٥) فيطلب أولاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها ، وهو الذى يُسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ؛ لأنه لا مانع مثلاً من طلب وجود المفهوم قبل معرفته .

(٦) ١٦٧ - المفتاح .

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال فى جواب « ما هو؟ » من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية . كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم .

الأشياء عندك^(١)؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك . كذلك تقول : « ما الكلمة؟ وما الكلام؟ » وفي التنزيل ﴿ فما خَطْبُكُمْ ﴾^(٢) أى : أىُّ أجناس الخطوب خطبكم ؟ وفيه ﴿ ما تعبدونَ من بعدى؟ ﴾^(٣) أى أى من فى الوجود تؤثرونه للعبادة ؟ أو عن الوصف^(٤) تقول : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل ، ونحوهما^(٥) . وسؤال فرعون ﴿ وما ربُّ العالمين ﴾^(٦) إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجودَ مستقلاً بنفسه سوى الأجسام ، كأنه قال : أى أجناس الأجسام هو ؟ وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف^(٧) للتبنيه على النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عَجَبَ الجهلة الذين حوِّله من قول موسى بقوله لهم ﴿ ألا تستمعون ﴾ ثم لما وجدَهُ مصراً على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ؛ استهزأ به وجنَّه بقوله ﴿ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ﴾ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفظنوا لذلك فى المرتين ، غلظ عليهم فى الثالثة بقوله : ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ . وإما عن الوصف^(٨) طمعاً فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين^(٩) ولو كانوا هم المسئولين مكانه ؛ لشهرته بينهم برب العالمين إلى درجة

(١) فى هذه العبارة تساهل من وجهين : أولهما أن « ما » يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس؛ فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ، فى تفسيرها بها تساهل .

(٢) آية ٥٧ سورة الحجر .

(٣) آية ١٣٣ سورة البقرة .

(٤) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق؛ لأن الذى يسأل به عن الوصف عندهم هو « أى » ، ولعل السكاكى ينظر فى ذلك إلى أصل اللغة ؛ لأنها لا تمنع أن يسأل « بما » عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكى فى « ما » وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يُطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئياً ، ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكلى .

(٥) الأحسن أن يقال فى الجواب : كريم أو فاضل بالتنكير .

(٦) آية ٢٣ سورة الشعراء والآيات الآتية تقع بعدها فى الترتيب .

(٧) هو قوله تعالى ﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ .

(٨) معطوف على قوله « إما » عن الجنس .

(٩) فيجاب بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن عقَّبوا قولهم : ﴿ آمناً بربِّ العالمين ﴾^(١) بقولهم : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ نفيًا لاتهامهم أنهم عنوه ، ولجهله^(٢) بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلسٌ ؛ بدليل^(٣) : ﴿ قال أولكو جئتكم بشيء مبین ، قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴾^(٤) فحين سمع الجواب تعداه عجب وجنن وتفهيق بما تفهيق من قوله : ﴿ لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾^(٥) .

• وأما « مَنْ » فقال السكاكي^(٦) : هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم^(٧) تقول « مَنْ جبريل ؟ بمعنى أشرُّ هو أم ملكٌ أم جنِّي ؟ » وكذا : « مَنْ إبليس ؟ ومَنْ فلان ؟ » ومنه قوله تعالى حكايةً عن فرعون : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى ﴾^(٨) أى أملكٌ هو أم بشر أم جنى ؟ مُنكرًا لأن يكون لهما ربٌّ سواه ؛ لادِّعائه الربوبية لنفسه ، ذاهبًا فى سؤاله هذا إلى معنى « ألكما رب سواى ؟ » فأجاب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ كأنه قال : نَعَمْ لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكت الطريق الذى يبين بإيجاده لما أوجد ، وتقديره إياه على ما قدره ، واتبعت فيه الخريَّة الماهر ، وهو العقل الهادى عن الضلال ؛ لزمك الاعترافُ بكونه ربًّا ، وأن لا ربَّ سواه ، وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حقٌّ لا مدفع له .

وقيل : هو للسؤال عن العارض المُشخَّص لذى العلم^(٩) ، وهذا أظهر ؛ لأنه

(١) آية ٤٧ ، سورة الشعراء .

(٢) معطوف على قوله « لشهرته بينهم » يعنى جهله بعلو شأن موسى ، والظاهر أنه فى جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف .

(٣) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا مجلس .

(٤) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الشعراء . (٥) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٦) ١٦٨ - المفتاح .

(٧) أى العقل ، والمراد بالجنس ما يشمل النوع والصفة ؛ لأنه يطلق عليهما فى اللغة

اسم الجنس .

(٨) آية ٤٩ سورة طه .

(٩) أى العقل ، يريد بذلك ما يتعلق به من علمه ووصفه الخاص به ، فإذا قيل : من

فلان ؟ صحَّ فى جوابه (زيد) كما ذكره ، وصحَّ أن يجاب بوصف خاص به .

إذا قيل « من فلان ؟ » يجاب « يزيد » ونحوه مما يفيد التشخيص ، ولا نسلّم صحة الجواب بنحو : بشر أو جنى كما زعم السكاكى^(١) .

● أما « أئى » فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما^(٢) ؛ يقول القائل « عندى ثياب » فتقول : « أئى الثياب هى ؟ » فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية ، وفى التنزيل : ﴿ أئى الفريقين خيرٌ مقاماً ﴾^(٣) أئى أنحن أو أصحاب محمد عليه السلام ؟^(٤) وفيه : ﴿ أئكم يأتينى بعرشها ﴾^(٥) أئى الإنسى أم الجنى ؟ .

● وأما « كم » فللسؤال عن العدد ؛ فإذا قلت « كم درهماً لك ؟ وكم رجلاً رأيت ؟ » فكأنك قلت « أعشرون أم ثلاثون أم كذا كذا ؟ » وتقول : « كم درهمك ؟ وكم مالك ؟ أئى كم دانقاً^(٦) أو كم ديناراً ؟ وكم ثوبك ؟ أئى كم شبراً أو كم ذراعاً ؟ وكم زيد ماكث ؟ أئى كم يوماً أو كم شهراً ؟ وكم رأيتك ؟ أئى كم مرة ؟ وكم سرت ؟ أئى كم فرسخاً ، أو كم يوماً ؟ قال الله تعالى : ﴿ قال قائلٌ منهم كم لبثتم ﴾^(٧) أئى كم يوماً أو كم ساعة ؟ وقال : ﴿ كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ﴾^(٨) وقال : ﴿ سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ﴾^(٩) . ومنه قول الفرزدق :

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلتُ مُنونُ أنتمُ فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلام
فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم ، وذلك أنه سأل عن مشخصهم لظنه أنهم من البشر ، فأجابوه بذلك لتخطئه فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس فى البيت ولكن لا يخفى ما فى حمل ذلك على الأسلوب الحكيم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية فى المثال الأول ، فىكون السؤال بها عن الوصف المميز لهما ، ومثل المتشاركين المتشاركون والمتشاركات .

(٣) آية ٧٣ سورة مريم .

(٤) فى هذا تساهل ؛ لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل

منهما .

(٥) آية ٣٨ سورة النمل .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشئ قد يكون واحداً والتميز لأجزائه ، وإلى أن المميز

قد يحذف للعلم به .

(٨) آية ١١٢ سورة المؤمنون .

(٧) آية ١٩ سورة الكهف .

(٩) آية ٢١١ سورة البقرة .

كم عمّة لك يا جريرٌ وخالَةٌ فدعاءً قد حلّبت على عشاري^(١)

فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية^(٢) .

● وأما « كيف » فللسؤال عن الحال ، إذا قيل « كيف زيد ؟ » فجوابه : صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

● وأما « أين » فللسؤال عن المكان . إذا قيل « أين زيد ؟ » فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق أو نحو ذلك .

● وأما « أنى » فتستعمل تارة بمعنى « كيف » قال الله تعالى ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾^(٣) أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى « من أين »^(٤) قال الله تعالى : ﴿ أَنَّى لَكَ هَذَا ﴾^(٥) أى من أين لك هذا .

● وأما « متى ، وأيان » ، فللسؤال عن الزمان إذا قيل « متى جئت ؟ » ، أو أيان جئت ؟ » قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا ، وعن على بن عيسى الربعى : أن « أيان » تستعمل في مواضع التفتيح^(٦) كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٨) .

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب

(١) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق . والفدعاء : مشتقة من الفدع وهو عوج في المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار : جمع عشاء وهي النفساء أو الناقة التي مضى حملها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجر تتعين للخبرية ، وقيل : إن « كم » الخبرية تنصب المميز أيضاً .

(٣) آية ٢٢٣ سورة البقرة .

(٤) الفرق بين « أين » و « من أين » : أن « أين » للسؤال عن المكان الذي حل فيه الشيء ، و « من أين » للسؤال عن المكان الذي برز منه .

(٥) آية ٣٧ سورة آل عمران .

(٦) كذلك تستعمل في الاستبعاد ، وهو الأظهر في الآيتين ؛ لأن السؤال فيهما ممن لا

يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ؛ فالظاهر في سؤاله الاستبعاد لا التفتيح .

(٧) آية ٦ سورة القيامة .

(٨) آية ١٢ سورة الذاريات .

المقام^(١) منها الاستبطاء^(٢) نحو « كم دعوتك ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾^(٣) .

ومنها التعجب^(٤) نحو قوله : ﴿ ما لي لا أرى الهدهد ! ﴾^(٥) .

ومنها التنبيه على الضلال^(٦) نحو : ﴿ فأين تذهبون ﴾^(٧) .

ومنها الوعيد^(٨) كقولك لمن يسئ الأدب : « ألم أؤدب فلاناً ؟ » ، إذا كان عالماً بذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾^(٩) .

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعاني إلى ما يناسبها من المقام هو الذي يجعل لها صلة المعاني ، وهي صلة ضعيفة كما سبق في نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعاني من الكناية ، وقيل : إنها من مستبعات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء في إجابتها .

(٣) آية ٢١٤ سورة البقرة .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن سؤال العاقل في الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به ، وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) آية ٢٠ سورة النمل .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام عن الطريق في الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله في غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقاً واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً في الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية . وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستبعات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز في كل هذه المعاني كما سبق .

(٧) آية ٢٦ سورة التكوير .

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام في المثال ينبه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٩) آية ١٦ سورة المرسلات .

ومنها الأمر^(١) نحو قوله تعالى^(٢) : ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ ونحو : ﴿ فهل من مدكر ﴾^(٣) .

ومنها التقرير^(٤) : ويشترط في الهمزة أن يليها المقرّر به^(٥) كقولك : أفعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي^(٦) وغيرهما إلى أن قوله : ﴿ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾^(٧) من هذا الضرب ؛ قال الشيخ^(٨) : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل في قوله : ﴿ أنت فعلت هذا ﴾ وقال عليه السلام : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل في قولهم : ﴿ أنت فعلت ﴾ لكان الجواب « فعلت أو لم أفعل »^(٩) وفيه نظر ؛ لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها^(١٠) ؛ إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام ، وكقولك « أزيداً ضربت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد .

(١) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ، فاستعمل في مطلق الطلب ، ثم استعمل في الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر .

(٢) آية ١٤ سورة هود . (٣) آية ١٥ سورة القمر .

(٤) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد أيضاً ؛ وذلك باستعمال الاستفهام في مطلق

طلب الإقرار ، ثم طلب الإقرار من غير سبق جهل .

(٥) بخلاف « هل » فإنها للتقرير بالنسبة ، وبخلاف باقى الأدوات فإنها للتقرير بما يطلب

تصوره بها .

(٦) ١٧٠ المفتاح .

(٧) آية ٦٢ سورة الأنبياء .

(٨) ص ٧٨ دلائل الإعجاز .

(٩) أى ولم يكن ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ .

(١٠) من الاستفهام ، وقد أجيب عن هذا النظر بأن قوله قبل كسرها : ﴿ لا أكيدنَّ

أصنامكم ﴾ وقولهم : ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فيهما دلالة على علمهم بأنه هو الذى كسرها ؛ فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته .

ومنها الإنكار^(١) إمّا للتوبيخ بمعنى - ما كان ينبغي أن يكون^(٢) نحو « أعصيت ربك؟ » ، أو بمعنى لا ينبغي أن يكون ؛^(٣) كقولك للرجل يضيع الحق « أتسى قديم إحسان فلان؟ » وكقولك هذا للرجل يركب الخطر : أخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به . وإما للتكذيب بمعنى « لم يكن » كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾^(٤) وقوله : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾^(٥) أو بمعنى - لا يكون ، نحو : ﴿ أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾^(٦) وعليه قول امرئ القيس^(٧) :

أبقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟!

فيمن روى « أبقتلني؟ »^(٨) . وقول الآخر :

أترك أن قلت دراهم خالد زيارته ؟ إني إذن للثيم^(٩) !!

* والإنكار كالتقرير يشترط أن يلي المنكر الهمزة ، كقوله تعالى : ﴿ أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ ﴾^(١٠) ﴿ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾^(١١) ﴿ أَبْشِرْنَا مِنْ وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾^(١٢) وكقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾^(١٣) أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها ، المتولين لقسم رحمة

(١) دلالتها عليه من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأن إنكار الشيء يستلزم عدم

توجه الذهن إليه ، وهذا يستلزم الجهل به والجهل به يستلزم الاستفهام عنه .

(٢) إذا كان الموبخ عليه قد وقع في الماضي .

(٣) إذا كان الموبخ عليه واقعا في الحال أو بصدد الوقوع في المستقبل .

(٤) آية ٤٠ سورة الإسراء (٥) آية ١٥٣ سورة الصافات . (٦) آية ٢٨ سورة هود .

(٧) هو لخدج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف

الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والزرق : الصافية في خضرة .

(٨) لعل الرواية الأخرى « ليقتلني » كما في البيت قبله .

(٩) هو لعمار بن عقيل ، « أن قلت » يجوز روايته « أن وإن » وتقديره على الأول :

« لأن قلت » وهو الأظهر ، والمراد بخالد : خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

(١٠) آية ٤٠ سورة الأنعام . (١١) آية ١٤ سورة الأنعام .

(١٢) آية ٢٤ سورة القمر . (١٣) آية ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف .

الله التي لا يتولاها إلا هو بياهر قدرته وبالغ حكمته ، وعدَّ الزمخشري قوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾^(١) وقوله : ﴿ أفأنت تُسمع الصمَّ أو تهدى العمى ﴾^(٢) من هذا الضرب ، على أن المعنى : أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ؟ أو أفأنت تقدر على هدايتهم ؟ على سبيل القصر والإجاء أى : إنما يقدر على ذلك الله لا أنت . وحمل السكاكى^(٣) تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث^(٤) على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر^(٥) فى نحو « أنا ضربت » فلا يفيد إلا تقوى الإنكار^(٦) .

ومن مجيء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾^(٧)

وقول جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالِمِينَ بَطُونَ رَاحٍ^(٨)

أى : الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ؛ لأن نفي النفي إثبات ، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير ، أى للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء^(٩) . وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى^(١٠) وهى نحو قولك : «أزيداً ضربت أم عمراً؟» لمن يدعى أنه ضرب إما زيداً وإما عمراً دون غيرهما ؛ لأنه إذا لم يتعلق الفعل

(١) آية ٩٩ سورة يونس . (٢) آية ٤٠ سورة الزخرف . (٣) ١٧٠ ، ١٧١ المفتاح .

(٤) هى آية ﴿ أهم يقسمون ﴾ والآيتان بعدها .

(٥) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٦) على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشري .

(٧) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى : أفعال تفضيل من الندى ،

والراح : واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها الكف على سبيل المجاز كما فى

البيت ، بقرينة إضافة بطون إليها .

(٩) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما

يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفي ، كقوله تعالى آية ١١٦ سورة المائدة ﴿ أنت قلت

للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله ﴾ .

(١٠) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها والياً للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو

المنكر ، وهذه الصورة أبلغ فى نفي الفعل كما سيأتى تقريره .

بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة، وعليه قوله تعالى: ﴿ قُلِ الذَّكِرِينَ حَرَّمَ أُمُّ الْأَنْثِيِّينَ أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيِّينَ ﴾ (١) أخرج اللفظ مُخرجه ؛ إذ كان قد ثبت تحريمٌ في أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرّم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله ﴿ اللَّهُ أَذُنٌ لَكُمْ ﴾ (٢) إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذنٌ فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أُخرج مُخرجه إذا كان الأمر كذلك ؛ ليكون أشدّ لنفى ذلك وإبطاله ؛ فإنه إذا نفى الفعل عما جعل فاعلاً له في الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكي رحمه الله (٣): « وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذي سبق (٤) »

في نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب - من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَذُنٌ لَكُمْ ﴾ على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكر من الله دون غيره (٥) ؛ ولكن أحمله على الابتداء مراداً منه تقوية حكم الإنكار .

وفيه نظر ؛ لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب - أعنى ما يكون الاسم الذي يلي الهمزة فيه مظهراً - لا يفيد توجه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذي بعده فهو ممنوع (٦) ، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قُدِّرَ تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق ، فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم (٧) .

(١) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٩ سورة يونس .

(٣) ١٧١ : المفتاح .

(٤) أى في الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٥) لأنه بهذا يكون مفيداً للتخصيص ، وليس مراداً .

(٦) لأن المعنى على هذا قطعاً في المظهر والمضمر .

(٧) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتمل تقدير التقديم والتأخير ، والحق أن السكاكى لا

يخالف غيره في توجه الإنكار في الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم في ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق في الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر ، وما ذكره في منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضاً لأن البناء فيه على المظهر .

لا يقال : قد بلى الهمزة غير المنكر في غير ما ذكرتم ، كما في قوله :

* أَيْقَتَلَنِي وَالْمَشْرَفِي مُضَاجِعِي (١) *

فإن معناه أنه ليس بالذى يجيء منه أن يقتل مثلي (٢) بدليل قوله :

يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقَهُ لِيَقْتَلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالٍ (٣)

لأننا نقول : ليس ذلك معناه ؛ لأنه قال « والمشرفي مضاجعي » فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع مَنْ يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه .

ومنها التهكم (٤) نحو : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ (٥) .

ومنها التحقير (٦) كقولك : مَنْ هَذَا ؟ وما هذا ؟ .

ومنها التهويل (٧) كقراءة ابن عباس (٨) ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

(١) انظر ص ٤٠ .

(٢) فيكون لإنكار الفاعل لا الفعل .

(٣) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر : الفتى من الإبل ، وغطيطه : هديره في شقشقته ، والخناق : ما يخنق به من حبل ونحوه .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهكم به .

(٥) آية ٨٧ سورة هود .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير قول الشاعر :

مِنْ أَيْةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوِكَ الْكِرْمُ أَيْنَ الْمَحَاجِمِ يَا كَافُورَ وَالْجَلْمُ ؟

(٧) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ؛ لأن الاستفهام عن الشيء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يُدْرِكُ كنهه .

(٨) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الدخان .

العذاب المهيّن . مَنْ فرعون ﴿ بلفظ الاستفهام ، لَمَّا وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدة وفضاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال : ﴿ من فرعون ﴿ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبّره ؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ؟ ثم عرّف حاله بقوله . ﴿ إنه كان عالياً مِنَ المسرفين ﴿ .

ومنها الاستبعاد^(١) نحو : ﴿ أنى لهم الذّكرى وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ . ثم تولوا عنه وقالوا معلّمٌ مجنونٌ ﴿^(٢) .

ومنها التويخ والتعجيب جميعاً^(٣) كقوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴿^(٤) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التويخ فلأن الكفر مع هذه الحال يُنبئ عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل . وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأبى أن يكفر . وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره : ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴿^(٥) .

* * *

(١) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنيهما ، والفرق بينهما أن الاستبطاء يتوقّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ سورة الدخان .

(٣) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأنهما يستلزمان إنكار المويخ عليه والمتعجّب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أنّ البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التمنى وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٤) آية ٢٨ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٤ سورة البقرة .

تمرينات على التمنى والاستفهام

تمرين - ١

(١) لماذا أثار الشاعر في التمنى « ليت » على غيرها في قوله :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظّمها

عُقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كلمي

(٢) لماذا أوثرت « لو » في التمنى على « ليت » في قوله تعالى : آية ١٠٢

سورة الشعراء ﴿ فلو أن لنا كرةً فكنونَ من المؤمنين ﴾ .

تمرين - ٢

(١) بين ما تدل عليه « هل » في قوله تعالى حكايةً عن أهل النار آية ٤٤ سورة

الشورى ﴿ هل إلى مردٍ من سبيل ﴾ ؟ وما الداعي إلى إثارها على غيرها فيه ؟ .

(٢) بين معنى الاستفهام في قول الشاعر :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغر

تمرين - ٣

(١) هل الإنكار بالاستفهام في البيت الآتي للتوبيخ أو للتكذيب ؟ وهل

المقصود به الفعل أو غيره ؟ .

أعندى وقد مارست كل خفية يُصدّق واشٍ أو يُخيّب سائلُ

(٢) بين ما يدل عليه الاستفهام في قول الشاعر :

فدع الوعيدَ فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يَضِيرُ !!

تمرين - ٤

(١) بين معنى « هل » في قول الشاعر :

هل الدهرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضى بما كان فيها من بلاءٍ ومن خفض

(٢) بين معنى « ليت » في قول الشاعر :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شئوا الإغارة فرساناً وركباناً

الأمر

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته - من المقترنة باللام ؛ نحو : « ليحضر زيد » وغيرها ، نحو « أكرم عمراً » و « رويد بكرة » - موضوعة لطلب الفعل استعلاء ؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة . قال السكاكي^(١) : « ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم «صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر» . وفيه نظر لا يخفى على المتأمل^(٢) .

* ثم إنها - أعنى صيغة الأمر - قد تستعمل في غير طلب الفعل استعلاءً بحسب مناسبة المقام^(٣) كالإباحة^(٤) كقولك في مقام الإذن : « جالس الحسن أو ابن سيرين » . ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير :

أسيئ بنا أو أحسن لا ملكومة^(٥) لدينا ولا مقلية إن تقلت^(٥)

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه : إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت فى حقى من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعاملينى بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟

(١) ١٧١ - المفتاح .

(٢) لأن أئمة اللغة لا يريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل استعلاءً ، وإنما يريدون الأمر فى نحو : قم وليقم ، ولو لم يكن على جهة الاستعلاء ؛ لأنهم يقولون ذلك فى مقابلة الماضى والمضارع .

(٣) استعمالها فى ذلك مجاز إن منعت قرينة من إرادة الأمر ، وإلا فكناية ، وتبعية ذلك للمقام هى التى تجعل له صلة بعلم المعانى ، وهى صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق فى التمنى والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شىء عليه ؛ لاشتراكها هى والأمر فى مطلق الإذن ؛ فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، والخطاب لعزة محبوبته ، وملومة : خبر مبتدأ تقديره لا أنت ملومة ، والمقلية : اسم مفعول من القلى وهو البغض ، وقوله « تقلت » فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث المستتر ، وأصله « تقليت » فالتفت من الخطاب إلى الغيبة ، ومفعوله محذوف أى تقلتني .

والتهديد^(١) كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته : « اشم مولاك » . وعليه قوله تعالى : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾^(٢) .

والتعجيز^(٣) كقولك لمن يدعى أمراً تعتقد أنه ليس فى وسعه : « افعله » ، وعليه : ﴿ فأتوا بسورةٍ من مثله ﴾^(٤) .

والتسخير^(٥) نحو : ﴿ كونوا قردهً خاسئين ﴾^(٦) .

والإهانة^(٧) نحو : ﴿ كونوا حجارةً أو حديدًا ﴾^(٨) وقوله تعالى : ﴿ ذقْ إنك أنت العزيزُ الكريم ﴾^(٩) .

والتسوية^(١٠) كقوله تعالى : ﴿ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبلَ منكم ﴾^(١١) وقوله تعالى : ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾^(١٢) .

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا بالمأمور به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر .

(٢) آية ٤٠ سورة فصلت .

(٣) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام إظهار عجز من يدعى القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضاً .

(٤) آية ٢٣ سورة البقرة .

(٥) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر فى مطلق الإلزام .

(٦) آية ٦٥ سورة البقرة .

(٧) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ؛ لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع خسته يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .

(٨) آية ٥٠ سورة الإسراء .

(٩) آية ٤٩ سورة الدخان .

(١٠) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .

(١١) آية ٥٣ سورة التوبة .

(١٢) آية ١٦ سورة الطور .

والتمنى^(١) كقول امرئ القيس :

* ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي^(٢) *

والدعاء : إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع^(٣) نحو : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾^(٤).

والالتماس : إذا استعملت فيه على سبيل التلطف^(٥) كقولك لمن يساويك في الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء .

والاحتقار^(٦) نحو : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾^(٧).

ثم الأمر : قال السكاكي^(٨) : « حقه الفور ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي » والحق خلافه لما تبين في أصول الفقه^(٩).

* * *

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام طلب شيء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد أيضاً .

(٢) هو لحنديج بن حُجر المعروف بامرئ القيس من قوله :

ألا أيها الليل ألا انجلِ يصبح وما الإصباحُ منك بأمثلِ

وقوله « انجلي » بمعنى انكشف ، والأمثل : الأفضل ، وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا لأن في تغيير الزمن راحة على كل حال .

(٣) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز ، وكذلك استعمالها في الالتماس .

(٤) آية ٢٨ سورة نوح . (٥) هو الطلب مع المساواة .

(٦) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٧) آية ٤٣ سورة الشعراء .

(٨) ١٧٢ المفتاح .

(٩) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ؛ لأنه من خلط مسائل علم بمسائل علم آخر .

النَهْيُ

ومنها النهى، وله حرف واحد؛ وهو « لا » الجازمة فى نحو قولك « لا تفعل »؛ وهو كالأمر فى الاستعلاء، وقد يستعمل فى غير طلب الكف أو الترك^(١) كالتهديد^(٢) كقولك لعبد لا يمثّل أمرى: « لا تمتثل أمرى » .

* واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى - تشترك فى كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها^(٣) كقولك « ليت لى مالا أنفقَه » أى إن أرزقَه، وقولك: « أين بيتك أزرك » أى إن تُعرفنيَه، وقولك: « أكرمنى أكرمك » أى إن تكرمنى، قال: ﴿ فهب لى من لَدنك ولياً يرثنى ﴾^(٤) بالجزم، فأما قراءة

(١) يشير بهذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى أن المطلوب فى النهى الكف أو الترك، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمال النهى فيه مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن النهى عن الشئ يترتب عليه التخويف على مخالفته .

وقد يستعمل النهى فى الدعاء، كقوله تعالى آية ٢٨٦ سورة البقرة ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الالتماس: كقول الشاعر:

لا تطويا السر عنى يوم نائبة
وفى التمنى كقول الشاعر:

يا ليل، طُل، يا نوم، زُل، يا صبح، قِف لا تطلّع

وفى الإرشاد، كقول بشار:

ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً
فإن الخوافى قوة للقسوادم

وذكرُ النهى فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر .
(٣) وجه ذلك: أن الحامل على الطلب إما كون المطلوب مقصوداً لذاته أو لغيره لتوقفه

عليه، أى على ذلك المطلوب، فإذا كان مقصوداً لغيره وذكره بعده: تبادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه، فيكون الطلب متضمناً لشرطه ومعنياً عن ذكره، ولا يخفى أن ذكر هذا فى باب الإيجاز الآتى أليق من ذكره هنا .

(٤) آية ٥ سورة مريم .

الرفع فقد حملها الزمخشري على الوصف^(١) ، وقال السكاكي^(٢) الأولى حَمَلَهَا عَلَى الاستئناف دون الوصف ؛ لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله، فكأنه لما قال : ﴿ فهب لى من لذك ولياً ﴾ قيل : ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلاً فى المطلوب بالدعاء^(٣) . وقولك : « لا تشتم يكن خيراً لك » ؛ أى إلا تشتم .

* وأما العَرَضُ كقولك لمن تراه لا ينزل « ألا تنزل تُصَبُّ خيراً » أى إن تنزل ، فمولد من الاستفهام^(٤) وليس به ؛ لأن التقدير أنه لا ينزل ؛ فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل ، وهو محال .

* وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جازئ أيضاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ فإله هو الولى ﴾ أى إن أرادوا أولياء بالحق فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه^(٥) . وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذن لذهب ﴾^(٦) أى لو كان معه إله إذن لذهب .

* * *

(١) أى للنكرة قبله .

(٢) ١٧٢ المفتاح .

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه عدم إرثه له مع أنه نبي مستجاب الدعاء . أو قد أجب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصل ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قرينة دالة على شرط ، والترجى فى ذلك أيضاً مثل التمنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى : آية ٩ سورة الشورى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى ﴾ وقيل : إن قوله : ﴿ أم اتخذوا ﴾ إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغي لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولى ، فتكون الفاء للتعليل لا للشرط ، وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال - والله هو الولى - كما يقال - أتضرب زيداً وهو أخوك ؟ .

(٦) آية ٩١ سورة المؤمنون . وتام الآية : ﴿ كلُّ إله بما خلق ﴾ .

النداء

ومنها النداء^(١) : وقد تستعمل صيغته في غير معناه ؛ كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم^(٢) : يا مظلوم .

والاختصاص^(٣) في قولهم « أنا أفعل كذا أيها الرجل^(٤) ونحن نفعل كذا أيها

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ؛ وهو « يا » أو إحدى أخواتها ، ودلالة النداء على الطلب التزامية ؛ لأنه بمقتضى تعريفه في معنى « أدعو » وهو فعل مضارع لا أمر ، ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تنبيه لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى « أقبِلْ » فيدل على الطلب مطابقةً لا التزاماً .

(٢) بهذا لا تكون « يا » في ذلك للنداء ؛ لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذي ينادى له . واستعمال النداء في الإغراء مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد .

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته كعلاقة الإغراء ، وهو في الحقيقة صورة نداء كما سيأتي .

(٤) يريد بالرجل نفسه ، فهو في الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل إن الاختصاص نداء حقيقي لا مجازي ؛ لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسه ؛ كما قال عمر رضي الله عنه : كل الناس أقره منك يا عمر . فنادي نفسه : وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا للرجال ليسوم الأربعاء أما يتفك يحدث لي بعد النهي طرباً
وفي التعجب ، كقول الشاعر :

يا لك من قُبْرَةٍ بمعمر خلا لك الجو فيضى واصفـرى !!

وفي التحسر والتوجع ، كقول الشاعر :

أيا منازل سلمى ، أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك

وذكر النداء في علم المعاني كذكر التمني والاستفهام والأمر والنهي ، ومما له صلة وثيقة منه بعلم المعاني استعمال نداء القريب في البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخر ، كما قيل في نداء القريب المنزل منزلة البعيد :

يأبها السادر المزور من صلف مهلاً فإنك بالأيام منخدع

وكما قيل في نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ريع قلبي سكان

القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة «؛ أى متخصصاً من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقسام والعصابات .

* ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء^(١) إما للتفاؤل ، أو لإظهار الحرص فى وقوعه كما مر^(٢) ، والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين^(٣) ، أو للاحتراز عن صورة الأمر؛ كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه « ينظر المولى إلى ساعة » ، أو لحمل المخاطب على المطلوب ؛ بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذّب الطالب^(٤) أو لنحو ذلك^(٥) .

* * *

(١) استعمال الخبر إذا كان ماضياً فى الطلب مجازاً مزسلاً علاقته الضدية ، أو استعارة بتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً فى الطلب مجاز أيضاً ، ويجوز أن يكون كناية بجعل حصول الفعل فى المستقبل لازماً لطلبه فى الحال ، ثم يطلق اللام ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ؛ لأنه عليها يكون خبيراً لفظاً ومعنى مع أنه قد جعل إنشاء بصيغة الخبر .

(٢) فى الكلام على الشرط فى باب المسند .

(٣) يعنى التفاؤل ، وإظهار الحرص فى الوقوع . ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - ويلبغتها - قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٤) كأن تقول لصاحبك « تأتبنى غداً » بدل اتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ؛ لأنه إذا

لم يأتك صرت كاذباً وهو لا يجب تكذيبك .

(٥) كالتنبية على سرعة الامتثال فى قولك « أخذت عليكم عهداً لا تختلفون فى أمركم »

مكان (لا تختلفوا) .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشئ ، كقوله تعالى : آية ٢٩ سورة الأعراف ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى : آية ٥٤ سورة هود ﴿ قال إني أشهد الله واشهدوا أئى برى مما تشركون من دونه ﴾ .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره فى أحوال الإسناد الخبرى .

تنتيه

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مخصصاً بالخبر ، بل كثير منه حكمُ الإنشاء فيه حكمُ الخبر^(١) يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر .

* * *

(١) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر كالتأكيد ونحوه ؛ فإنه لا يكون فى الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد فى الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ؛ فالأحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره .

تمرينات على الأمر والنهي والنداء

تمرين - ١

- (١) ما يراد بالنهي في قول الشاعر ؟
لا تحسب المجدَ تمرًا أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرًا !!
- (٢) ما يراد بالأمر في قول الشاعر ؟ :

أرى ما ترين أو بخيلاً مُخلداً أرى ما ترين أو بخيلاً مُخلداً

تمرين - ٢

- (١) ما يراد بالنداء في قول الشاعر ؟ :
- يا دُرَّةً نَزَعْتَ من تاجِ والدها فأصبحتَ حليَّةً في تاجِ رضوان
- (٢) لماذا أتى بنداء القريب في قول الشاعر ؟ :

أبِّي لا تبعدُ وليس بخالدٍ حيٌّ ومن تُصبِ المنونُ بعيدُ

تمرين - ٣

- (١) لأي شيء استعمل الأمر باللام في قوله تعالى : آية ٩ سورة النساء
﴿وليش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعاءً خافوا عليهم﴾ ؟
- (٢) لماذا أتى بنداء البعيد في قوله تعالى : آية ٧٧ سورة الزخرف ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ وما يراد بالأمر فيه ؟

تمرين - ٤

- (١) لماذا عبّر بالخبر عن الطلب في قوله تعالى : آية ٨٤ سورة البقرة ﴿واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ ؟
- (٢) ما يراد بالأمر في قول الشاعر :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريراً المجمع

الباب السابع : القول في الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل :

الوصلُ: عطفُ بعضِ الجملِ على بعضٍ ، والفصلُ : تركهُ^(١) . وتمييز موضع

(١) جرى الخطيب في جعل كل من الوصل والفصل خاصاً بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » والعلوى « في الطراز » وابن قيم الجوزية في « الفوائد » بل الذي جرى عليه علماء البلاغة أن كلاً منهما خاص بالعطف بالواو وتركه دون غيره من حروف العطف ، وبالجمل التي لا مجل لها من الإعراب ؛ لأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر في ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتي للتشريك في الحكم ، فأمره سهل ، وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب لوقوعها موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو لأنه يأتي لمعانيه النحوية المعروفة ، وليس كذلك العطف بالواو في الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ لأنك إذا قلت - زيد قائم ، وعمرو قاعد - لم يكن معك حكم تدعى أن الواو أشركت بين الجملتين فيه ، فيشكل في ذلك أمرها ، وتحتاج إلى اعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ، وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يؤتى بها لاعتبارات الوصل فقط ، وأنها تفيد من ذلك غير ما تفيده واو العطف .

وقد ذهب السكاكي إلى أن كلاً من الوصل والفصل يأتي في عطف الجمل والمفردات ، وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن المعول عليه في ذلك هو الجهة الجامعة ؛ فمتى وجدت صح العطف في الجمل وغيرها ؛ كما تقول « الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كل ذلك مُحدثٌ » . ومتى فقدت امتنع العطف ، فلا تقول « الشمس ومرارة الأرنب ودين المجوس كلها محدثة » . وقد انتصر للسكاكي في هذا بعض مؤلفي عصرنا ، والحق ما جرى عليه عبد القاهر وغيره ؛ لأنه إذا كان هناك اشتراك في الحكم بين المفردات وأردت أن تخبر عنه لم يجز أن يمنعك من ذلك فقد الجهة الجامعة بينها ، وقد يُشبهه في ذلك بما حكى عن نصيب أنه اجتمع بالكميت فأنشده :

أم هل ظعائنٌ بالعلياء واقعةٌ وإن تكامل فيها الدل والشنب

فَعقد نصيب واحدة ، فقال الكميت : ماذا تُحصى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت في القول ، أين الدل من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لماء في شفتيها حوةٌ لعسٌ وفي اللثات وفي أنيابها بردٌ

فالدل يُذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولكن ما ذكره نصيب يرجع إلى محسنٍ بديعي يسمى مراعاة النظير . وعلم المعاني لا شأن له بالمحسنات البديعية ، ولهذا لم يعطف ذو الرمة (حوة) على (لعس) مع المناسبة بينهما .

أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة . وهو فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المآخذ ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتى في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك^(١) ؛ وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها ؛ فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل للاشتراك في الحكم :

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا ، وعلى الأول إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفت^(٢) عليها . وهذا كعطف المفرد على المفرد^(٣) لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه^(٤) مقبولاً في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة^(٥) كما

(١) أى لأن الأمر في البلاغة مقصور على معرفة الوصل والفصل ؛ لأنه لا يقتصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها .

(٢) أى وجوباً .

(٣) فإنه واجب عند قصد الشريك ، ولكن يجوز تركه في الأخبار والصفات المتعددة ،

وقد بين هذا في علم النحو .

(٤) **قيل** : إنه يريد بنحو الواو ما يدل على التشريك كالفاء ، وثم ، وحتى ، ورد بأن هذا الحكم مختص بالواو ؛ لأن لكل من الفاء و ثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك ، فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة ؛ كما تقول « إن تخرج من المنزل فتمطر السماء تبتل » . أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، **وقيل** : إنه يريد بنحو الواو ما يأتي بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو « أو » في قول توبة :

وقد زعمت ليلي بأنى فاجرٌ
لنفسى ثقها أو عليها فُجورُها

وربما يؤيد هذا ما سياتى من تفرقه بين الواو وغيره في عطف الجمل التي لا محل لها من

الإعراب .

(٥) المراد بالجهة الجامعة الجامع الآتى بيانه، واشترط ذلك في عطف المفرد على المفرد إنما

يوافق مذهب السكاكى، ولا يوافق ما سبق له في تعريف الوصل والفصل من تخصيصهما بالجمل .

فى قوله تعالى^(١) : ﴿ يَعلَمُ ما يَلِجُ فى الأرض وما يخرُجُ منها وما ينزل من السماء وما يعرجُ فيها ﴾ يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى الجملة ، ذلك كقولك : « زيد يكتب ويشعر ، أو يعطى ويمنع » وعليه قوله^(٢) : ﴿ والله يقبضُ ويبسطُ وإليه ترجعون ﴾ ولهذا عيب على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالمٌ أنَّ النوى صبرٌ وأنَّ أبا الحسين كريمٌ^(٣).

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، ولا تعلُّق لأحدهما بالآخر^(٤).

الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم :

وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها^(٥) كقوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴾^(٦) لم يعطف

(١) آية ٢ سورة سبأ ، والجهة الجامعة فيه التقابل بين « ما يلىج وما يخرج » وبين - ما ينزل وما يعرج - وقد تكون شبه التماثل ، كقول الشاعر :

ثلاثة تُشرق الدينيا بيهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

ومثل هذا يدخل فى المحسنات البديعية عند من يرى قصر الوصل والفصل على الجمل .

(٢) آية ٢٤٥ سورة البقرة .

(٣) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وقوله « لا » نفى لما ادعته محبوبته فى البيت

قبله :

رعمتُ هواك عفا الغداة كما عفا عنها طولُ باللوى ورسومُ

والنوى : الفراق ، والصبرُ : عصارة شجر مرٍّ ، وأبو الحسين : هو محمد بن الهيثم الذى

مدحه أبو تمام بهذه القصيدة ، ويصح أن يكون ما فى البيت من عطف المفرد .

(٤) أوجب عن أبى تمام بأن الجامع بين الأمرين شبه التضاد ؛ لأن مرارة النوى كالضد

لحلاوة الكرم ، وهو إلى هذا تحيُّلٌ للتخلص من النسب إلى المدح .

(٥) لا يخفى أن ترك العطف لهذا يكون مانع نحوى لا لوجه بلاغى ، فلا يصح أن يعدَّ

من أحوال الفصل الذى هو باب من أبواب البلاغة .

فالحق أنه لا يصح البحث عن الداعى إلى الفصل فى ذلك من هذه الجهة النحوية .

وإنما يبحث عن الداعى إلى الفصل فيه بالنظر إلى جملة « قالوا » أو جملة الشرط وجوابه

كما يأتى فى الفصل لعدم الاشتراك فى القيد وشبه كمال الانقطاع .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿إنا معكم﴾ لأنه لو عطف عليه؛ لكان من مقول المنافقين؛ وليس منه، وكذا قوله تعالى^(١):

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ ألا إنهم هم المفسدون ﴿وكذا قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾^(٢).

الوصل بغير الواو من حروف العطف:

وعلى الثانى إن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطف عليها بذلك الحرف^(٣) فتقول «دخل زيد فخرج عمرو» إذا أردت أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة، وتقول «خرجت ثم خرج زيد» إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة، وتقول «يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبة» إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منها لا بعينه، وعليه قوله تعالى^(٤): ﴿سننظرُ أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾.

الفصل لعدم الاشتراك فى القيد:

وإن لم يقصد ذلك، فإن كان للأول حكمٌ ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل^(٥) كقوله تعالى^(٦): ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

(١) آية ١١، ١٢ سورة البقرة .

(٢) آية ١٣ سورة البقرة .

(٣) أى من غير اشتراط جهة جامعة، فلا يشترط ذلك فى عطف هذه الحروف للجمل، كما لا يشترط فى عطفها للمفردات، وعلى هذا يصح أن تقول «خرجت من المنزل فأمرت السماء» مع أنه لا يصح فيه العطف بالواو؛ لعدم الجهة الجامعة وقيل: إنه تشترط الجهة الجامعة فى عطف الجمل بهذه الحروف؛ بدليل أنه لا يصح أن تقول «جالينوس طيب، ثم سورة الإخلاص من القرآن، ثم إن القرد يشبه آدمى» ولا يخفى أن فساد هذا ليس لفقد الجهة الجامعة الآتية لأنه لا يصح من غير العطف أيضاً، وهذا لأن كل كلام لا بد فيه من ارتباط ما بين أجزائه، ثم يأتى بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالنظر إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الاعتبارات الآتية .

(٤) آية ٢٧ سورة النمل .

(٥) أى بلاغاً لا نحواً؛ لأن العطف يقتضى التشريك فى حكم الإعراب لا فى القيود فإذا قيل «ضربت زيداً يوم الجمعة وعمراً» لا يلزم أن يكون ضرب عمر يوم الجمعة أيضاً، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه، فلهذا تعين الفصل بلاغاً فيما هنا دفعاً لإرادة ذلك الظاهر .

(٦) آية ١٤، ١٥ سورة البقرة .

مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴿ لم يعطف ﴿ الله يستهزىء بهم ﴿ على ﴿ قالوا ﴿
لثلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم^(١) وهو قوله: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴿
فإن استهزاء الله بهم - وهو أن خذلهم فخلأهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً
إياهم من حيث لا يشعرون - متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم
يخلوا إليهم ، وكذلك فى الآيتين الأخيرتين^(٢) فإنهم مفسدون فى جميع الأحيان قيل
لهم لا تفسدوا أو لا ، وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل :

وإن لم يكن للأولى حكمٌ كما سبق ، فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع
وليس فى الفصل إيهام خلاف المقصود كما سيأتى ، أو كمال الاتصال ، أو كانت
الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، أو بمنزلة المتصلة بها - فكذلك يتعين الفصل^(٣) ؛ أما
فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضى مناسبةً بينهما كما
مر ، وأما فى الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن العطف
يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه^(٤) ، وأما فى الثانية والرابعة فظاهر مما
مر^(٥) .

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضه كما سبق ، والمراد باختصاصه بالظرف أنه
قيد فيه لكونه شرطاً له ، والشرط قيد فى الجواب كما هو معلوم .
(٢) هما قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ﴿ الآية - وقوله : ﴿ وإذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس ﴿ الآية ، والمراد أنهما أخيرتان باعتبار ترتيبهما فيما ذكره سابقاً ، وإن
كانتا فى التنزيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال
الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، ويضاف إليها الحالة السابقة التى تتناسب فيها الجملتان ويوجد
فى أولهما حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية ، وتسمى التوسط بين الكمالين مع وجود المانع من
العطف فىكون الفصل خمس حالات .

(٤) ولا يرد على هذا عطف التفسير ؛ لأنه ليس من أسلوب البلغاء ، وإنما هو من
أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف وقد وردت هذه الواو فى
قول الشاعر :
وقدّدت الأديم لراهشيه وألقى قولها كذباً ومينا
فإن كانت للتفسير فأمرها ظاهر ، وإن كانت للعطف فذلك حشو كما سيأتى فى باب
الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٥) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما هى بمنزلة من كمال الانقطاع أو الاتصال .

الأول : كمال الانقطاع :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد ، أو إلى طرفيه :
الأول : أن تختلف الجملتان خبيراً وإنشاءً **لفظاً ومعنى** ؛ كقولهم « لا تدن من الأسد يأكلك » ، « وهل تصلح لي كذا أدفعُ إليك الأجرة ؟ » بالرفع فيهما .
وقول الشاعر :

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها فكلُّ حتفٍ امرئٍ يجرى بمقدار^(١)
أو معنًى لا لفظاً ؛ كقولك : « مات فلان رحمه الله »^(٢) .

أما قول اليزيدي :

ملكته حبلً ولكنَّه ألقاه من زهد على غاربي
وقال : إني في الهوى كاذبٌ انتقم الله من الكاذب^(٣)

فعدّه السكاكي^(٤) - رحمه الله - من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد
القاهر^(٥) رحمه الله على الاستئناف بتقدير « قلت »^(٦) .

(١) كما نسبه سيبويه إلى الأخطل غياث بن غوث ولكنه لا يوجد في ديوانه . والرائد:
هو من يتقدم القوم لطلب الماء ونحوه، والمراد به عريفهم وقائدهم، وقوله «أرسوا» بفتح الهمزة أو
ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا، وقوله «نزاولها» بمعنى نحاولها، والضمير للحرب .
والحتف : الهلاك ، والمقدار : مصدر بمعنى القدر . وفي العبارة قلب ؛ والأصل : فحتف كل
امرئ ، وقيل : إنه لا قلب فيها لأن الحتف يتنوع بتنوع أسبابه ، والشاهد في قوله « أرسوا
نزاولها » ، ويجوز أن يكون الفصل فيه لشبه كمال الاتصال ، لجواز كون الجملة الثانية « نزاولها »
مبنية على سؤال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل
تسليط القول عليه .

(٢) فإذا اختلفتا لفظاً لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتي في أحوال
الوصل .

(٣) هو ليحيى بن المبارك المعروف باليزيدي ، وقيل إنه لإبراهيم بن المدثر . والحبل في
الأصل الرباط أو الرسن والمراد به عهد الود ، والغارب : الكاهل ، والمراد بإلقاء عهد الود عليه :
تركة له ، والشاهد في البيت الثاني بين جملة « قال » وجملة « انتقم » على ما سيأتي .

(٤) ١٤٦ المفتاح . (٥) ١٥٥ - دلائل الإعجاز .

(٦) أى قلت : انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال ، ورجح هذا بأن ما ذهب إليه
السكاكي لا يأتي إلا بجعل « انتقم الله من الكاذب » من كلام المحكي عنه وهو بعيد ، ويمكن أن
يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضاً بين جملة « انتقم الله » وجملة « قال إني في الهوى كاذب » لا =

الثانى : ألا يكون بين الجملتين جامعٌ كما سيأتى (١) .

= جملة « إنى فى الهوى كاذب » من غير « قال » ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكمال الانقطاع والاستئناف .

* هذا وإنى أرى أن ترك العطف فى هذا الضرب لمانع نحوى ؛ فلا يصح أن يُعدَّ من الفصل المعدود من أبواب البلاغة ، على أن سيبويه يجيز العطف فى نحو « هذا زيد ومن عمرو؟ » مع اختلافهما خبراً وإنشاءً ، ومن ذلك قوله تعالى آية ١٧٣ سورة آل عمران : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما ؛ كقولك « زيد طويل ، وعمرو قصير » إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ؛ كقولك « زيد طويل وعمرو نائم » فى حال وجود صداقة بينهما ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع فى هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتى ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباط ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفى عصرنا عليهم فى تلك التسمية ، ولا لما ذكره من أنها توهم جواز تفكيك الكلام ، ولا لما بناه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضير بعد هذا فى كون الاتصال بالواو أو بتركه . ولست أدرى كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟! ولا كيف يكون الاختلاف خبراً وإنشاءً مثلاً وجهاً من وجوه الارتباط ؟! ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا فى علم المعانى ؟! وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئاً من مواضع الفصل . وهذه أبيات من الشعر يتبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى فى الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه فى غرض من الأغراض :

سَلَّمْتُ وما الديارُ بسالمات	على عنتِ البلى يا دار هند
ولا زالت مَفَوْقَ الغوادي	تُصيبُ ربَّكَ من خَطَأٍ وعمد
على أنى متى مطرُ تيك	ففضل ما سقاك الغيث بعدى
* * *	*

أرى بصبرى عن كلِّ يومٍ وليلة	يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة	يغيرنه ، والدهر لا يتغير
لعمري لئن أمسيت أمشى مقيلاً	لما كنت أمشى مطلق القيـد أكثر

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى أن تكون الثانية منهما مفرعة على الأولى ، وفى هذه الحالة يصح عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف كقول الشاعر :

الشيب كرهه وكـرهه أن يفارقنى عجبٌ لشيءٍ على البغضاء مردود

وقد روى بالفاء : « فاعجب لشيء » .

الثاني : كمال الاتصال :

وأما كمال الاتصال فيكون لأمر ثلاثة :

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفعُ توهم التجوز والغلط . وهو قسمان :

أحدهما : أن تُنزَل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى^(١) كقوله تعالى^(٢) : ﴿ الم ، ذلك الكتاب لا ريبَ فيه ﴾ فإن وزانَ ﴿ لا ريب فيه ﴾ في الآية وزانُ « نفسه » في قولك : « جاءني الخليفةُ نفسه »^(٣) ؛ فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ « ذلك » وتعريف الخبر باللام^(٤) كان عند السامع قيل أن يتأمله مظنة أن يرمى به جزافاً من غير تحقق^(٥) فأتبعه ﴿ لا ريب فيه ﴾ نفيًا لذلك^(٦) إتباع الخليفة « نفسه » إزالةً لما عسى أن يتوهم السامع أنك في قولك « جاءني الخليفة » متجاوز أو ساه ، وكذا قوله : ﴿ كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ ﴾^(٧) ؛ الثاني مقرر لما أفاده

(١) ضابط ذلك : أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوي أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد في المفرد ؛ فيكون من التأكيد الاصطلاحى .

(٢) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .

(٣) هذا إنما يأتي بجعل ﴿ الم ﴾ طائفة من الحروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزءيها ، وجعل ﴿ ذلك الكتاب ﴾ جملة ثانية ، وجعل ﴿ لا ريب فيه ﴾ جملة ثالثة . ويجوز أن يجعل ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ جملة واحدة ، وعلى هذا لا شاهد فيه للتأكيد المعنوي بين جملتين .

(٤) لأن « ذلك » إشارة إلي بعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى : ذلك الكتاب لا غيره .

(٥) هذا بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ؛ لأنه يجرى في ذلك على أساليب البشر .

(٦) فكأنه قيل : لا ريب في بلوغه تلك الغاية من الكمال ، وهذا المعنى يخالف معنى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لكنهما متلازمان كما هو ظاهر .

(٧) آية ٧ سورة لقمان .

الأول^(١) ، وكذا قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾^(٢) لأن قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ معناه الثبات على اليهودية ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ ردٌ للإسلام ودفعٌ له منهم ؛ لأن المستهزىء بالشئ المستخف به منكرٌ له ودافع له لكونه غير معتد به ، ودفعٌ نقيض الشئ تأكيدٌ لثباته^(٣) . ويحتمل الاستئناف^(٤) أى : فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه فى اتحاد المعنى^(٥) كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) فَإِنَّ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة^(٧) وهذا معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ؛ لأن معناه - كما مر - الكتاب الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية^(٨) ؛ لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى درجات

(١) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مُصادفةً أو قصدًا إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ، والمقصود من التشبيهين فى الجملتين هو عدم التأثير بسمع الآيات . وهذا هو ما يتلزمان فيه مع اختلاف معنهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنفتين ، وقد قيل : إن قوله : ﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا ﴾ حالٌ من قوله قبله ﴿ وَلَّى مُسْتَكْبِرًا ﴾ وقوله : ﴿ كَانَ فى أذنيه وقرًا ﴾ حالٌ من قوله : ﴿ لَمْ يَسْمَعَهَا ﴾ وعلى هذا يكون لها محل من الإعراب فلا يكونان مما نحن فيه ، وهما الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة .

(٣) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى حاله قبل الحكاية ؛

لأنه فى محل نصب بقوله قبله ﴿ قالوا ﴾ .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) مع هذا قد يختلفان فى اللفظ كما فى الأمثلة التى ذكرها ، وقد يتحدان فى المعنى واللفظ كما فى قوله تعالى : آية ١٧ سورة الطارق ﴿ فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُلَهُمْ رُؤِيدًا ﴾ واستحسن بعضهم قصر التأكيد اللفظي على ما اتحد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيد المعنوى ، والخطب فى ذلك سهل .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) هذا مأخوذ من تنكير « هدى » وأنه لم يقل هادٍ ، وهدى على هذا خير مبتدأ

محذوف تقديره « هو » .

(٨) يجوز أن يراد به الكمال الأعم ، فيكون ذلك من التأكيد المعنوى لاختلاف معنى

الجملتين .

الكمال ، وكذلك قوله تعالى (١) : ﴿ سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ فإن معنى قوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ معنى ما قبله (٢) ، وكذا ما بعده (٣) تأكيداً ثانٍ ؛ لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا فى حق من ليس له قلب يخلص إليه حق ، وسمعٌ تدركُ به حجةٌ ، وبصرٌ تثبت به عبرةٌ ، ويجوز أن يكون ﴿ لا يؤمنون ﴾ خبراً لـ (إنَّ) (٤) فالجمله قبلها اعتراض .

الثانى (٥) : أن تكون الثانية بدلاً من الأولى ، والمقتضى للإبدال كونُ الأولى غيرَ وافيةٍ بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضى اعتناءً بشأنه لنكتة ؛ ككونه مطلوباً فى نفسه أو فظيماً أو عجبياً أو لطيفاً ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تنزلَ الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه (٦) كقوله تعالى (٧) : ﴿ أمدِّكم بما تعلمون • أمدِّكم بأنعامٍ وبنين • وجناتٍ وعيون ﴾ فإنه مسوقٌ للتنبية على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله : ﴿ أمدِّكم بأنعامٍ وبنين وجناتٍ وعيون ﴾ أوفى بتأديته مما قبله (٨) لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على

(١) آية ٦ سورة البقرة .

(٢) قيل : إنه غيره ، وهو الظاهر ؛ فيكون ذلك من التأكيد المعنوى .

(٣) هو قوله : ﴿ ختمَ اللهُ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةً ﴾ والظاهر

أنه تأكيد معنوى .

(٤) فى قوله قبل ذلك ﴿ إنَّ الذينَ كفروا ﴾ .

هذا وكما يجب الفصل بين الجملة المؤكدة لأخرى ، يجب الفصل بين الجملتين المؤكدتين لجملة قبلهما كما سبق فى قوله تعالى : ﴿ ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ وقد تعطف الجملة المؤكدة بالفاء أو ثم ، كقوله تعالى : آية ٣٤ و ٣٥ سورة القيامة ﴿ أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ وقيل : إن ذلك عطف صورى لا حقيقى ، وقيل : إنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأن الجملة الثانية أبلغ فى الإنذار من الأولى .

* والحق أن ترك العطف فى الجملة المؤكدة لجملة قبلها لمانع نحوى ، فلا يصح أن يعد من

الفصل كما سبق . (٥) أى من الأمور التى يكون بها كمال الاتصال .

(٦) أى فى المفرد ، فيكون ذلك بدلاً اصطلاحياً على ما سبق فى التأكيد .

(٧) آية ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ سورة الشعراء .

(٨) فنكتته كونه مطلوباً فى نفسه .

عملهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون^(١) ، ويحتمل الاستئناف^(٢) .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ؛ كقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ · اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾^(٣) فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾ أوفى بتأدية ذلك ؛ لأن معناه : لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فكنْ في السر والجمهور مُسلماً^(٤)

فإن المراد به كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العلن ، وقوله « لا تقيمَنَّ عندنا » أوفى بتأديته ؛ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد^(٥) بخلاف « ارحل »^(٦)

(١) يعنى أنه بعضه فى الظاهر، وإن كان المراد منهما واحداً؛ كالمراد من قولك: « أكلت الرغيف ثلثه » .

(٢) فيكون من شبه كمال الاتصال ، وردَّ بأنه لو كان منه لكان التأكيد مستحسنًا كما سيأتى ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٣) آية ٢٠ و ٢١ سورة يس .

(٤) لا يُعرف قائله ، ويريد بقوله « مسلماً » أن يكون معه كالمسلم فى استواء ظاهره وباطنه ، ويجوز أن يكون المراد به مُسالماً ، والاستشهاد بقوله « ارحل لا تقيمَنَّ » بالنظر إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق فى نظائره .

(٥) كون هذه الدلالة مطابقةً منظورٌ فيه إلى العُرف ؛ لأنك إذا قلت لآخر « لا تقم عندى » لم تقصد كفه من الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

(٦) لأن دلالته عليه بالالتزام ، وهى باعتبار العرف أيضاً ؛ لأن طلب الاحتمال يقتضى عرفاً محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده؛ وهو الإقامة .

ووزان الثانية من كل واحد من الآية والبيت وزان « حسنها » فى قولك : « أعجبتنى الدارُ حُسْنُها » ؛ لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها ، وغير داخل فيه ، مع ما بينهما من الملايسة (١) .

الثالث (٢) أن تكون الثانية بياناً للأولى ، وذلك بأن تنزلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه ؛ فى إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوعٌ خفاء مع اقتضاء المقام إزالته . كقوله تعالى (٣) : ﴿ فوسوس إليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ . فصلَ جملة (قال) عملاً قبلها ؛ لكونها تفسيراً له وتبييناً (٤) . ووزانه وزانُ « عمُر » فى قوله :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ (٥)

(١) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيداً ولا بدل بعضٍ من كلِّ ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيداً لفظياً كما هو ظاهر ؛ ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون ما فى البيت تأكيداً معنوياً ؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتجال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له فى الوجود .

هذا وما نكتة البدل فيه كونه عجباً قوله تعالى : آية ٨١ ، ٨٢ سورة المؤمنون ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون : قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ . وما نكتة البدل فيه كونه فظيماً قولك لمن تزنى وتتصدق : « أتجمعين بين قبيحٍ وحسنٍ : تزنين وتتصدقين ؟ ! » . وما نكتة البدل فيه كونه لطيفاً قولك : « زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة » ، وهذا من البدل المطابق على أنه يأتى هنا أيضاً ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البدل بعد هذا عندى كأمر التأكيد فى أن ترك العطف فيه مانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يُعدَّ من الفصل أيضاً .

(٢) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال . (٣) آية ١٢٠ سورة طه .

(٤) أورد على الاستشهاد به أن جملة ﴿ وسوس ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قلنا ﴾ فى قوله قبل ذلك : ﴿ وإذ قلنا للملائكة ﴾ الآية ، فتكون فى محل جر مثلها ، ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وقد سبق أن الاستشهاد بهذا منظور فيه إلى ما قبل تسليط (قالوا) عليه .

(٥) هو لعبد الله بن كيسان من قوله :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ

ما مسَّها من نَقْبٍ ولا دَبْرٍ

فاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرَ

والنقب : ضعف أسفل الخف ، والدبر : جراحة الظهر ، وقوله « فجر » بمعنى : حنث =

وأما قوله^(١) : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ . فيحتمل التبيين والتأكيد ؛ أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل في جنس آخر ، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلأنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً ، ولأنه إذا قيل في العرف لإنسان : « ما هذا بشراً » . حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق أو خلق كان الغرض أنه مَلَكٌ بطريق الكناية .

فإن قيل : هلاً نزلتم الثانية منزلة الكل من متبوعه في بعض الصور ، ومنزلة النعت من متبوعه في بعض ؟ . قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه ، وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد ، والنعت لا ينفصل عن عطف البيان إلا بأنه يدل على بعض أحوال متبوعه ؛ لا عليه ، وعطف البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يحقق شيء منها فيما نحن بصدده^(٢) .

الثالث : شبه كمال الانقطاع : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ؛ فلكون عطفها عليها مؤهّماً لعطفها على غيرها^(٣) ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمى أنى أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم^(٤) .

= وكان قد أتى عمر فشكا له بعد أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن يستحمله غيرها ، فلم يصدقه وقال : والله ما نبت ، فلما قال ذلك حمله عمر على بعير وزوده وكساه . هذا ولا يخفى أن ترك العطف في عطف البيان مانع نحوي أيضاً ؛ فلا يصح عدّه من الفصل كالتأكيد والبدل .

(١) آية ٣١ سورة يوسف .

(٢) أى من الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ وبهذا يستغنى فيها بعطف البيان عن النعت ، وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع في فصيح الكلام ؛ كما سبق في باب المسند إليه ، عند الكلام على الإبدال منه ؛ فلهذا لم يتعرض له هنا أيضاً .

هذا ، والظاهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل كمال الاتصال من باب التأكيد ، وإن كان قد يشتمل أحياناً على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع في الجمل .

(٣) هذه نكتة الفصل هنا ، يجب بها ترك العطف بلاغة لا نحواً ؛ لأنه لا مانع من العطف من جهة النحو .

(٤) لا يعلم قائله ، وقوله : « أراها » بمعنى : أظنها ؛ على صورة المبنى للمفعول ، وهو للفاعل ، وقوله : « تهيم » مأخوذ من « هام على وجهه » ؛ إذا مشى من غير قصد .

لم يعطف « أراها » على « تظن » ؛ لثلاثيهم السامع أنه معطوف على « أبغى » ؛ لقربه منه ، مع أنه ليس بمراد ، ويحتمل الاستئناف^(١) .

وقسم السكاكي^(٢) القطع إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ؛ وهو ما لم يكن مانع من العطف ؛ كما في هذا البيت . والثاني القطع للوجوب ؛ وهو ما كان مانع ، ومثله بقوله تعالى^(٣) : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهَمْ ﴾ . قال : لأنه لو عطف لعطف إما على جملة ﴿ قالوا ﴾ وإما على جملة ﴿ إنا معكم ﴾ ، وكلاهما لا يصح لما مر^(٤) . وكذا قوله : ﴿ ألا إنهم همُ المفسدون ﴾ . وقوله : ﴿ ألا إنهم همُ السفهاء ﴾^(٥) وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون المقطوع في المواضع الثلاثة معطوفاً على الجملة المصدرية بالظرف^(٦) وهذا القسم^(٧) لم يبين امتناعه .

الرابع : شبه كمال الاتصال :

وأما كونها بمنزلة المتصلة بها ؛ فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى ؛ فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال^(٨) . وقال السكاكي^(٩) : فينزل ذلك منزلة الواقع^(١٠) .

-
- (١) فيكون من شبه كمال الاتصال . (٢) ١٣٦ : المفتاح . (٣) آية ١٥ سورة البقرة .
(٤) في الفصل لعدم الاشتراك في الحكم أو القيد . (٥) آية ١٢ ، ١٣ سورة البقرة .
(٦) هي جملة الشرط وجوابه . وإذا جاء العطف عليها نحواً ؛ كان القطع فيه من القسم الأول ؛ وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبه كمال الانقطاع منحصرًا في هذا القسم ، أما الفصل في القسم الثاني فهو للتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف ؛ كما سبق .
(٧) أي كون العطف على جملة الشرط وجوابه .
ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :
يقولون : إني أحمل الضيمَ عندهمُ أعوذُ بربي أن يضامَ نظيري
لم يعطف جملة « أعوذ » على جملة « يقولون » ؛ لثلاثيهم عطفها على جملة « أحمل » ؛ فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه ؛ وإنما هي من مقوله .
(٨) كما في قوله تعالى آية ١٠ ، ١١ سورة القارعة : ﴿ وما أدراك ما هيه ؟ نار حامية ﴾ .
وفصل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال ، وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ؛ لأن جملة السؤال إنشاءً وجملة الجواب خبرٌ . (٩) ١٢٧ : المفتاح .
(١٠) أن ينزل السؤال المقدر منزلة السؤال الواقع ، فيكون من فصل الجواب عن السؤال ؛ بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى^(١) منزلة الواقع لا يُصار إليه إلا لجهات لطيفة : إما لتنبه السامع على موقعه ، أو لإغنائه أن يسأل ، أو لئلا يُسمع منه شيء ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ ؛ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك .

ويسمى الفصل لذلك : استثناءً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى : استثناءً .

والاستئناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى : إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ^(٢)

أى ما بالك عليلًا ؟ أو ما سبب علتك ؟ وكقوله :

وقد غرّضتُ من الدنيا فهل زمني معط حياتي لغرٍّ بعد ما غرضاً ؟!

جربتُ دهرى وأهليه فما تركت لى التجاربُ فى ود امرى غرضاً^(٣)

أى لم تقول هذا ويحك؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة - إلى هذا

الحد - كضحك ؟ .

وإما عن سبب خاص له^(٤) ؛ كقوله تعالى^(٥) ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة

(١) هو السؤال المقدّر .

(٢) لا يعرف قائله ، وقد سبق فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستئناف ؛ إذا جعل « سهر » خبر مبتدأ تقديره « حالى سهر » ؛ أما إذا جعل خبراً بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد فى قوله : « قال لى كيف أنت قلت عليل » ، للاستئناف ؛ للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، وقوله « غرّضت » بمعنى : ضجرت ، والغر : الغافل ، وقوله « ما غرضاً » ألفه للإطلاق ، والظرف قبله متعلق به ؛ أى لم يضجر الحياة بعد ما ضجرت . ومعنى البيت الثانى : أن تجربته للناس لم تترك له غرضاً أى حاجة فى ودهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم . والشاهد فى فصل « جربت دهرى » عن جملة « وقد غرّضت » .

(٤) ضابط هذا وما قبله : أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوحا بالاستئناف ؛ فالسؤال المقدّر عن سبب خاص ، وإلا فهو عن سبب عام ؛ فقول الشاعر فى البيت السابق « قال لى كيف أنت قلت عليل » ؛ لا يدل إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما ، وقوله تعالى فى الآية : ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ . ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو أنها أمارة بالسوء .

(٥) آية ٥٣ سورة يوسف . حكاية عن امرأة العزيز .

بالسوء ﴿١﴾ . كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء .
وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم^(١) ؛ كما مر فى باب أحوال الإسناد .

وإما عن غيرهما^(٢) كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً قال سلامٌ ﴾^(٣) كأنه قيل :
فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :

زعمَ العواذلُ أننى فى غمرةٍ صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلي^(٤)

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العدّال؛ كان ذلك مما حرك السامع ليسأل:
أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مُخرّجه إذا كان ذلك قد قيل له ففصّل .

ومثله قول جندب بن عمار :

(١) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقى؛ أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو ؟ وذلك
تصور لا يأتى فيه شك حتى يُؤتى بالتأكيد من أجله ، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام
ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص؛ لإمكان رد التصور إلى التصديق، وبالعكس . ومن
ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بأخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(٢) أى عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية . وهو أيضاً إما عام
كما فى المثال الأول ، وإما خاص كما فى المثال الثانى ، وهو يقتضى التأكيد أيضاً؛ كالسؤال عن
السبب الخاص ، ومنه قول الشاعر :

فغنتها وهى لك الفداءُ إن غناء الإبل الحداءُ

فتقدير السؤال فيه : هل غناء الإبل الحداء ؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر
بالغناء للإبل ، وكذلك قول الشاعر :

يرى البخيل سبيلَ المالِ واحدةً إن الكريم يرى فى ماله سُبلاً

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لا يُعلم قائله . وقوله « زعم » بمعنى قال ؛ لأنه قد يستعمل فى القول مطلقاً كما
هنا، والعواذل: جمع عاذل وإن كان صفةً لعاقل ؛ لأنه جائر سماعاً كفارس وفوارس ، وقيل :
إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور؛ ليوافق قوله « صدقوا » ، وهو الذى جرى عليه
الخطيب فى تفسيره للبيت ، والغمرة : الشدة ، وقد ترك التأكيد هنا مع أن السؤال تصديقى ؛
لتنزيله ذلك منزلة الظاهر الذى لا يعتره شك .

زعم العواذلُ أنَّ ناقةَ جُنْدُبٍ بجنوبِ خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأَجَمَّتْ

كذب العواذلُ لو رأين مُناخنا بالقادسيةِ قُلْنَ لَجَّ وذلتُ^(١)

وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيداً؛ بأن وضع الظاهر^(٢) موضع المضمرة؛ من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام .
ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخاليَ عفا من بعد أحوالِ

عَفَاهُ كُلُّ حَنَّانٍ عَسُوفِ الوَيْلِ هَطَّالٍ^(٣)

فإنه لما قال « عفا » وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه؛ كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . ومثله قول أبي الطيب :

وما عَفَّتِ الرياحُ له محلاً عفاه من حدا بهم وساقا^(٤)

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل .

وأيضاً من الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه ؛ كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان » ، ومنه ما بينى على صفته ؛ كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، صديقك القديمُ أهلٌ لذلك » ؛ وهذا أبلغ لانطوائه على بيان

(١) خبت : من ديار كلب . وقوله « عريت » : بمعنى أزيل عنها رحلها .
وقوله « أجمت » بمعنى : تركت فلم تركب ، وهنا كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ،
والقادسية : بالعراق ، وقوله : « لَجَّ وذلتُ » بمعنى : جدَّ في السير وانقادت ناقته له .
(٢) أى في جملة الاستئناف ، وهو العواذل في قوله : « كذب العواذل » ؛ لأن حقه الإضمار؛ لسبق ذكره .

(٣) هما كما في « الأغاني » للوليد بن يزيد الأموي . وقوله « عفا » بمعنى : درس ،
والمراد بأحوال في قوله « من بعد أحوال » : الأحوال التي سعد فيه بسكانه من أحبابه . والحنان :
السحاب . وعسوف الويل : شديد المطر .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وقوله « عفت » بمعنى : محت ،
وضمير « له » يعود إلى الربيع ، وقوله « حدا » من الحداء ؛ وهو غناء الإبل ، والمراد بها الإبل
التي سارت بهم وجعلتهم يهجرونها .

السبب^(١) ، وقد يُحذفُ صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ يَسِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ ﴾^(٢) فيمن قرأ ﴿ يَسِّحُ ﴾ مبنياً للمفعول^(٣) وعليه نحو قولهم : « نعم الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلاً عمرو » ؛ على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً مظهرًا^(٤) أو مضمراً^(٥) ؛ سئل عن تفسيره فقيل : « هو زيد » ، ثم حذف المبتدأ .

وقد يُحذفُ الاستئناف كله ويقام ما يدلُّ عليه مقامه ؛ كقول الحماسي :

زعمتم أن إخوتكم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ^(٦)

(١) هو صفة الصداقة التي دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب لا يشتمل على مثل تلك الصفة .

(٢) آية ٣٦ ، سورة النور .

(٣) فالتقدير يسِّحُ فيها رجال ، والفعل المبني للفاعل هو صدر الاستئناف المحذوف ، وعلى قراءته مبنياً للفاعل يكون (رجال) فاعلاً له .

(٤) في « نعم الرجل زيد » ، « وبئس الرجل عمرو » .

(٥) في « نعم رجلاً زيد » ، و « وبئس رجلاً عمرو » وإذا قدر المخصوص في ذلك مبتدأ محذوف الخبر ؛ كان ذلك من حذف عجز الاستئناف .

(٦) هو لمساور بن هند العبسي في هجاء بني أسد وتكذيبهم في انتسابهم إلى قريش . والإلف : مصدر « أَلَفَ » ، والإلاف مصدر « أَلَفَ » ، يريد بذلك إلف قريش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إيهام العطف على قوله : « أن إخوتكم قريش » ؛ فيكون لشبه كمال الانقطاع .

هذا وقد يدخل على الاستئناف لام التعليل أو فاؤه كقول أبي تمام :

لا تنكرى عطلَ الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالى

وقد تأتي الواو في ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ؛ كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كلِّ يومٍ وليلىةً يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر

ومن يصحب الأيام تسعين حجةً يُغيِّرُه والدهرُ لا يتغيَّرُ

وقيل : إن الواو في هذا للعطف على محذوف مفعول عما قبله ؛ كأنه قيل : من يقاسى

أحوالى ؛ يكن حاله كحالى ، ومن يصحب الأيام إلخ ، والاستئناف من غير أداة أدقُّ وأبلغ من الاستئناف بها واورا كانت أو لاما أو فاء ؛ لأنه يؤدي معناها من غير ذكرها ، ويشير إلى السؤال المقدر مثلها .

حذف الجواب الذى هو « كذبتُم فى زعمكم » ، وأقام قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » مقامه ؛ لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدرَّ قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ؛ كأنه لما قال المتكلم : كذبتُم ، قالوا : « لم كذبنا ؟ » ، قال : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » ؛ فيكون فى البيت استئنافان .
وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه (١) كقوله تعالى (٢) : ﴿ نعم العبدُ ﴾ أى أيوب ، أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله : ﴿ فنعم الماهدون ﴾ (٣) ؛ أى : نحن (٤) .

الوصل لدفع الإيهام :

وإن لم يكن بين الجملتين شىء من الأحوال الأربع ؛ تعيّن الوصلُ ؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود (٥) ؛ كقول البلغاء : « لا ، وأيدك الله » . (٦) ، وهذا عكس الفصل للقطع (٧) .

الوصل للتوسط بين الكمالين :

وإما للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

(١) لوجود قرينة تدل عليه ؛ لأنه لا بد فى كل حذف من قرينة .

(٢) آية ٣٠ سورة ص .

(٣) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٤) تقديره : « هم نحن » ؛ على ما سبق .

(٥) الوصل فى ذلك يجب بلاغةً لا نحواً ، وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع بين الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتى فى كمال الاتصال أيضاً عند ذلك الإيهام ؛ كما تقول لمن سألك : « هل تشرب خمرًا » ؟ : « لا ، وتركت شربه » . وقيل : إنه يتعين الفصل فى مثل هذا فيه ، ويدفع الإيهام بطريق آخر ؛ فيقال مثلاً : « لا قد تركت شربه » ، « أو يسكت قليلاً بعد « لا » » .

(٦) أى : ليس الأمر كذلك وأيدك الله . وقد اختلف فى هذه الواو ؛ فقيل : إنها عاطفة ،

وقيل : إنها زائدة ، وقيل : إنها استئنافية .

(٧) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم

تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

أحدهما : أن تتفقا خبراً وإنشاء^(١) ، لفظاً ومعنى ؛ كقوله تعالى^(٢) : ﴿ إن الأبرارَ لفي نعيم * وإن الفجارَ لفي جحيم ﴾ ، وقوله : ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴾^(٣) وقوله : ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾^(٥) **والثاني :** أن يتفقا كذلك معنى لا لفظاً ؛ كقوله تعالى^(٦) : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبوالدين إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا ﴿ عطف قوله : ﴿ وقولوا ﴾ على قوله : ﴿ لا تعبدون ﴾ ؛ لأنه بمعنى لا تعبدوا . وأما قوله : ﴿ وبوالدين إحساناً ﴾ فتقديره : إما : وتحسنون بمعنى وأحسنوا ، وإما : وأحسنوا^(٧) ، وهذا^(٨) أبلغ من صريح الأمر والنهي ؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاه فهو يخبر عنه . وأما قوله تعالى^(٩) في سورة البقرة : ﴿ وبشّر الذين آمنوا ﴾ فقال الزمخشري فيه : فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمرٌ ولا نهى يصح عطفه عليه^(١٠) ؟ قلتُ : المراد ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مُشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ؛ فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين^(١١) كما تقول : « زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشّرُ عمراً بالعمو والإطلاق » . ولك أن تقول : هو معطوف على ﴿ فاتقوا ﴾ ؛ كما تقول : « يا بني تميم ، احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشّرُ يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم » . هذا كلامه ، وفيه نظر لا

(١) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط فى الضرب الثانى أيضاً ؛ لأن هذه الصورة من الوصل بضربيها تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع .

(٢) آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار . (٣) آية ٣١ سورة يونس . (٤) آية ١٤٢ سورة النساء .

(٥) آية ٣١ سورة الأعراف . (٦) آية ٨٣ سورة البقرة .

(٧) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثانى يكون من الضرب

الثانى .

(٨) أى صورة الخبر فى قوله : ﴿ لا تعبدوا ﴾ وفى تقديره « وتحسنون » أبلغ من صريح

النهى والأمر ؛ أى : لا تعبدوا وأحسنوا . (٩) آية ٢٥ سورة البقرة .

(١٠) أى فى قوله قبله : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس

والحجارة أعدت للكافرين ﴾ .

(١١) هذا هو ما يسمّى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام

آخر ؛ فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك كمن عطف إحداهما على

الأخرى .

يخفى على المتأمل^(١) . وقال أيضاً في قوله تعالى في سورة . الصف : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾^(٢) : إنه معطوف على ﴿ تؤمنون ﴾^(٣) لأنه بمعنى آمنوا^(٤) ، وفيه أيضاً نظر . لأن المخاطبين في ﴿ تؤمنون ﴾ هم المؤمنون ، وفي ﴿ بشر ﴾ هو النبي عليه السلام^(٥) ثم قوله ﴿ تؤمنون ﴾ بيان لما قبله^(٦) على سبيل الاستئناف ، فكيف يصح عطف ﴿ بشر المؤمنين ﴾ عليه^(٧) ؟! وذهب السكاكي^(٨) إلى أنهما معطوفان على « قُلْ » مراداً قبل ﴿ يأيتها الناس ﴾^(٩) و﴿ يأيتها الذين آمنوا ﴾^(١٠) لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة في القرآن ، وذكر صوراً كثيرة منها قوله تعالى^(١١) : ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا ﴾ ، وقوله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ﴾^(١٢) وقوله : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا ﴾^(١٣) أى وقتلنا أو قائلين^(١٤) والأقرب أن يكون الأمر في الآيتين معطوفاً على مقدر يدل عليه ما قبله ، وهو في الآية الأولى « فأنذر أو نحوه » ، أى « فأنذرهم وبشر الذين آمنوا » وفي الآية الثانية « فأبشر أو نحوه » أى « فأبشر يا محمد وبشر المؤمنين » ، وهذا كما قدر الزمخشري قوله تعالى : ﴿ واهجرنى ملكياً ﴾^(١٥) معطوفاً على محذوف يدل عليه قوله : ﴿ لأرجمك ﴾ أى فاحذرنى واهجرنى ؛ لأن ﴿ لأرجمك ﴾ تهديدٌ وتقريعٌ .

(١) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله : ﴿ فباتقوا ﴾ فى الآية قبلها ؛ لأنه لا مناسبة بينهما ؛ لاختلاف المخاطب فى الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيد بالشرط قبله فلا يصح عطف الثانى عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أوجب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب ؛ لما فيه من التقابل ، وعن الثانى بأنه لا ضرر فى تقييد الأمر الثانى بما قيد به الأول ؛ لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر فى تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(٢) آية ١٣ سورة الصف . (٣) أى فى الآية قبلها .

(٤) لهذا جزم قوله ﴿ يغفر ﴾ فى الآية بعده فى جوابه .

(٥) أوجب عن ذلك بما سبق أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٦) هو قوله : ﴿ يأيتها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ . آية

١٠ سورة الصف .

(٧) أوجب عن ذلك بأن مضمون قوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ مما يصح الاستئناف به أيضاً

عن ذلك . (٨) ١٤١ - المفتاح . (٩) آية ٢١ سورة البقرة . (١٠) آية ١٠ سورة الصف .

(١١) آية ٥٧ سورة البقرة . (١٢) آية ٩٣ سورة البقرة . (١٣) آية ١٢٥ سورة البقرة .

(١٤) المقول : « كلوا » و « خذوا » و « اتخذوا » فى الآيات الثلاث .

(١٥) آية ٤٦ سورة مريم .

الجامع بين الجملتين وأقسامه :

والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه ، والمسند إليه في هذه ، وباعتبار المسند في هذه ، والمسند في هذه جميعاً^(١) كقولك : « يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع » ، وقولك : « زيد شاعر » ، « وعمرو كاتب » ، « وزيد طويل » ، « وعمرو قصير » إذا كان بينهما مناسبة ؛ كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا : « زيد شاعر ، وعمرو طويل » كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله تعالى^(٢) : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قطع عما قبله ؛ لأنه كلام في شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام في شأن القرآن^(٣) .

وأما ما يُشعر به ظاهر كلام السكاكي^(٤) في موضع من كتابه أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض بما مر^(٥) وبنحو قولك : هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاطب زيد ثوبى فيه^(٦) . ولعله سهو ؛ فإنه صرح في موضع آخر منه^(٧) بامتناع عطف قول القائل : « خُفِّ ضيق » على قوله : « خاتمى ضيق » مع اتحادهما في الخبر^(٨) .

(١) ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار متعلقتهما ، وقيل : إنه يعتبر ذلك فيهما أيضاً . والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقات مقصودة بالذات من الجملتين ؛ كقوله تعالى آية ٤١ سورة غافر : ﴿ ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ﴾ . وقول الشاعر :

ظلَّ يسعى إلى المعالى بجدًّا والعلا لا يُنال إلا بكـد

وقول الآخر :

أريد حياآته ويريد قتلِي عُدُّرُك من خليلك من مراد

(٢) آية ٦ سورة البقرة .

(٣) هو قوله : ﴿ ألم ، ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ . الآيات إلى هذه

الآية .

(٤) ١٣٧ - المفتاح .

(٥) من الأمثلة التى امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع فى المخبر عنه أو الخبر ، وإنما

احتج بها - مع أنها ليست من كلام من يحتج به من البلغاء - لأنها محل اتفاق .

(٦) فالوصل ممتنع فيه أيضاً مع الاتحاد فى القيد .

(٧) ١٤٧ - المفتاح .

(٨) قيل : إنه لا سهو من السكاكى فى ذلك ؛ لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره أن

الجامع يكفى فيه التناسب بين الجملتين لا غير ، وهذا التناسب له سبب وله مظنة ، فسببه اجتماع =

ثم قال^(١): الجامع بين الشئيين عقلى ووهمى وخيالى :

أما العقلى^(٢) فهو أن يكون بينهما اتحاد^(٣) أو تماثل^(٤) ؛ فإن العقل بتجريده المثلين عن التشخيص فى الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو تضاييف^(٥) كما بين

= الجملتين فى القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال؛ على ما يأتى، ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقةً أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون ؛ فقد يحصل التناسب مع الاتحاد فى الطرفين ؛ كقولك: « زيد يعطى ويمنع » ، وقد يحصل مع الاتحاد فى أحدهما دون الآخر؛ كمن يذكر فى مجلسه الحركة والبياض فتقول له: « الحركة عرض نقلة ، والبياض لون مفرق للبصر »؛ فالتناسب موجود ولم يحصل إلا باتحاد المسند إليه فى الجامع الخيالى ، وقد يحصل الاتحاد فى الطرفين ولا يحصل التناسب؛ كقولك: « انظر إلى علم زيد ، وانظر إلى هذا القطع فى ثوبك » وإنما منع السكاكى نحو « خاتمى ضيق ، وخفى ضيق »؛ حيث لم يجمع بينهما ذكر فى مجلس أو نحو ذلك كما صرح به ، وما يؤيد ذلك قوله تعالى آية ٨٨ سورة يوسف ﴿ مسناً وأهلنا الضرُّ وجئنا ببضاعةٍ مُرْجاةٍ ﴾ فالمسندان: المس والمجىء ، والمسند إليه فيهما: الضر وإخوة يوسف ، وهما مختلفان لا يتحدان فى شىء ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسدين؛ لأن المس سبب فى المجىء .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص فى ذكر ما وقع فى يوم من الأفعال « انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر . إلخ » وإنى أرى أن هذا يصح نحواً لا بلاغة ؛ لأنه فى تأويل « حصل كذا وكذا »؛ على معنى واو العطف لا واو الوصل ؛ لأن واو الوصل لا يؤتى بها مثل هذا ، وإنما يؤتى بها لدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغى بين الجملتين . والاتحاد فى الغرض الذى تصاغ له الجملة لا يكفى فى الوصل ؛ لأنه يجب فى حال الفصل أيضاً كما سبق .

(١) ١٢٧ - المفتاح .

(٢) ضابطه: أن يكون الجمع بين الشئيين فيه حقيقةً . بأن يكون فى الواقع ونفس الأمر :

(٣) بأن يكونا شيئاً واحداً حقيقةً بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :

سافرَ تجدُ عوضاً عمَّن تفرقهُ وانصبَ فإنَّ لذيدَ العيشِ فى النَّصبِ

(٤) بأن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص

بهما من صداقة أو نحوها ؛ كما سبق فى نحو : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » ، وكتماثل المسند فى قول الشاعر :

فيكى إن نأوا شوقاً إليهم ويكى إن دنوا خوفَ الفراق

العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر ؛ فإن العقل يأبى ألا يجتمعا في الذهن (١) .

وأما الوهمي^٢ فهو أن يكون بين تصوريهما شبهً تماثل ؛ كلون بياض ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثليين (٣) ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها
شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر^(٤) .

أو تضاد^(٥) كالسواد والبياض ، والهمس والجهازة ، والطيب والنتن ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجيء ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد^(٦) كالسواء والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني ؛ فإن الوهم ينزل المتضادين والشبهين بهما منزلة المتضامين ؛ فيجمع بينهما في الذهن ، ولذلك نجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد .

(١) فالمراد بالتضاد أن يكونا بحيث لا يمكن أن تعقل كلا منهما من غير الآخر؛ كما بين المبادرة إلى الفرصة والنهوض في قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانهض لما تريد فيها فهى لا تلبث

(٢) ضابطه: أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارياً غير محسوس بإحدى الحواس

الظاهرة .

(٣) أما العقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان في جنس اللون كالبياض والسواد .

(٤) هو لمحمد بن وهيب ، وقد سبق في الكلام على تقديم المسند في الجزء الأول .
والبيت في عطف المفردات ، وقد سبق أنه ليس من الوصل في رأى الجمهور؛ وإنما هو من مراعاة النظر ، والثلاثة بينهما تماثل في الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة . والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضاً ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على « تضاد » والمراد بشبه التضاد تقابل الشيئين اللذين لا يتناقبان في ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى يناق ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمي قوله تعالى آية ٨٢ سورة التوبة: ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ ، وقوله تعالى آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ﴾ .

والخيالي^(١) أن يكون بين تصوّرَيْهِمَا تقارنٌ في الخيال سابق^(٢) ، وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتيباً ووضوحاً ؛ فكم صور تتعاقب في خيال وهى فى آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على علم .

كما يُحكى أن صاحب سلاح ملك ، وصائغاً ، وصاحب بقرٍ ، ومعلمٌ صبية سافروا ذات يوم ، وواصلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره ، فأفاض كل منهم فى الثناء عليه، وشبهه بأفضل ما فى خزانه صورهِ ؛ فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك ، والصائغُ بالسبيكة من الإبريز تفتت عن وجهها البوتقة ، والبقرُ بالجن الأبيض يخرج من قلبه طرياً، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروءة .

وكما يُحكى عن وراقٍ يصف حاله : عيشى أضيّق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وحظى أخفى من شق القدم ، وبدنى أضعف من قصبه ، وطعامى أمرٌ من العفص ، وشرابى أشد سواداً من الخبر ، وسوء الحال لي ألزم من الصمغ .

ولصاحب علم المعانى^(٣) فضلٌ احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى؛ فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تتعقد الأسباب فى ذاك؛ كالجمع بين الإبل والسماء ، والجبال والأرض فى قوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴾^(٤) بالنسبة إلى أهل الوبر ، فإنَّ جُلَّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل فتكون عنايتهم مصروفةً إليها ، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن

= وقول الشاعر :

إن كنتَ ذا رأى فكنْ ذا عزيمة ولا تكُ بالترداد للرأى مفسداً

(١) ضابطه : أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارياً مسنداً إلى إحدى الحواس الظاهرة .

(٢) أى على الوصل ، فيأتى الوصل باعتباره .

(٣) هذا أيضاً من كلام السكاكى .

(٤) آية ١٧ و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ سورة الغاشية .

يتحصنون به ، ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحضرى ، فإذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرنا؛ ظن النسق (لجهله) معيياً (١) .

محسنات الوصل :

ومن محسنات الوصل (٢) تناسب الجملتين فى الاسمىة والفعلىة ، وفى المضىّ والمضارعة (٣) إلا لمانع ؛ كما إذا أريد بإحدهما التجدد وبالأخرى الثبوت ؛ كما إذا كان زيد وعمرو قاعدىن ثم قام زيد دون عمرو ، وقلت : « قام زيد ، وعمرو قاعد » . كما سبق (٤) .

(١) من الوصل للجامع الخيالى قول الأرجانى :

فبت من وصلك فى لذة حتى جلا الصبحُ مُحياه
والنجم قد أطبق أجفانه والنوم قد أطلق أسراه
والليلُ سيفُ الفجر فى فرقه يقتله والديك ينعاه

وقول الشاعر :

أعزُّ مكان فى الدنى سرجُ سابح وخير جليس فى الزمان كتابُ

(٢) حسن الوصل فى ذلك لا ينافى أنه واجب بلاغة عند اقتضاء الحال له فإنه إذا كان المقام للثبوت فى الجملتين ووجب تناسبهما فى الاسمىة ، وإذا كان للتجدد ووجب تناسبهما فى الفعلىة ؛ لأن ما يجب بلاغة يستند أكثره إلى التحسين ؛ ولهذا كان كل ما وجب لغةً وجب بلاغةً من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن البديعى ؛ لأن محله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت ، فيكون التناسب جائزاً لا واجباً .

(٣) من تناسبهما فى الاسمىة قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحربُ نابها وفى سائر الدهر الغيوث المواطر

ومن تناسبهما فى المضىّ قول الشاعر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجدت حتى كأن الغيث لم يجد

ومن تناسبهما فى المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٤) فى الكلام على اسمىة الجملة وفعلىتها فى باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى : آية

١٧٨ سورة آل عمران : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم إنما نملى لهم =

فروق الجملة الحالية :

ومما يتصل بهذا الباب القول في الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة^(١) فإنها تجيء تارةً بالواو ، وتارةً بغير الواو^(٢) فنقول :

أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

الأول : أن إعرابها ليس يتبع^(٣) ؛ وما ليس إعرابه يتبع لا يدخله الواو ، وهذه وإن كانت تسمى واو الحال فإن أصلها العطف .

= ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ، وقوله آية ٨٧ سورة البقرة : ﴿ ففريقًا كذَّبتم وفريقًا تقتلون ﴾ .
ومن محسنات الوصل أيضًا التناسب في الإطلاق والتقييد ، والتناسب في الإطلاق كثير ،
أما التناسب في التقييد ؛ فمنه قول الشاعر :

دنوت تواضعًا وعلوت مجدًا فشانك انحدار وارتفاع

وقول الآخر :

تنام عيني وعين الليل ساهرة وتستحيل وصيغ الليل لم يحل

(١) يريد بها الحال المؤسَّسة ، وكان الواجب أن يقول مؤسَّسة بدل المنتقلة لأن الحال تنقسم باعتبار إلى لازمة ومنتقلة ، كقولك « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها » ، و « جاء زيد يضحك » . وباعتبار آخر إلى مؤسَّسة ومؤكَّدة ؛ كقولك « جاء زيد راكبًا » و « هو الحق لا ريب فيه » والحال المؤسَّسة هي التي أصلها أن تكون بغير واو منتقلة كانت أو لازمة ، والحال المؤكَّدة هي التي يمتنع الواو فيها .

(٢) ذكر بعض مؤلفي عصرنا أن الحال يجيء كذلك على مقتضى أحكامه النحوية ؛ فلا يصح الاشتغال به في هذا العلم ، والحق أن ذلك قد يجرى على مقتضى مقامات يجب بها بلاغة ما لا يجب نحوًا ؛ فكل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواقع فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضمته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ؛ كقولك : « جاءني زيد يسرع » ؛ فهو بمنزلة قولك « جاءني زيد مسرعًا » ، وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبرًا ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار ، أو نحو ذلك .

(٣) يريد تبعية عطف النسق ؛ لأنها هي التي تقتضى الواو ؛ بخلاف تبعية غيرها كالنعت .

الثانى : أن الحال فى المعنى حُكْمٌ على ذى الحال؛ كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا فى ضمن شىء آخر ، والحكم بها إنما يحصل فى ضمن غيرها ؛ فإن الركوب مثلا فى قولنا : « جاء زيد راكباً » محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية ؛ بأن وُصِلَ بالمجىء ، وجُعِلَ قيِّداً له ، بخلافه فى قولنا : « زيد راكب » .

الثالث : أنها فى الحقيقة وصفٌ لذى الحال ؛ فلا يدخلها الواو كالنعت؛ فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، ولكن خُوِّلَ هذا الأصل فيها إذا كانت جملة ؛ لأنه بالنظر من حيث هى جملة^(١) مستقلة بالإفادة ، فتحتاج إلى ما يربطها بما جعلتُ حالا عنه ، وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط ، والأصل للضمير^(٢) ؛ بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمهد هذا فنقول : الجملة التى تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية :

أما الأول : فيجب أن تكون بالواو؛ لئلا تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن يُتَّصَبَ عنه حالٌ ؛ يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو ، إلا المُصدِّرة بالمضارع المثبت ، كقولك : « جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمرو » حالا عن زيد؛ لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده .

وأما الثانية : فتارةً يجب أن تكون بالواو ، وتارةً يمتنع ذلك ، وتارةً يترجح أحدهما ، وتارةً يستوى الأمران ، والواو غير مُنافٍ للضمير فى إفادة الربط^(٣) ؛ فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف ؛ فنقول :

الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو؛ كقوله تعالى^(٤) :

(١) أى لا حال .

(٢) يعنى فى نظر البلغاء ؛ فلا يُعدَّلُ عنه إلا لنكتة تدعو إلى زيادة ارتباط الحال بصاحبها؛ كقصد الاهتمام أو نحوه ، فيؤتى بها عند ذلك جملةً مستقلة وتربط بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة المرتبطة بالضمير والواو .

(٣) لأنه يجوز الربط بهما معاً ؛ كقولك : « جاء زيد وهو يضحك » .

(٤) آية ١١٠ سورة الأنعام .

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، وقوله: ﴿وَلَا تَمُنَّ بِتَسْكُرٍ﴾^(١) وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(٢) لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة^(٣) مقارنة لما جعلت قيداً له^(٤) ، والمضارع المثبت كذلك . أما دلالة على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر^(٥) . وأما دلالة على المقارنة فلكونه مضارعاً^(٦) فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، وبهذا امتنع نحو: «جاء زيد ويتكلم عمرو» كما مر ، وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب «قمت وأصك عينه أو وجهه» ، وقول عبد الله بن همام السلولي :

فلماً خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا^(٧)

ف قيل : هو على حذف المبتدأ ؛ أى أصك عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثاني ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر^(٨) : ليست الواو فيهما للحال بل هي

-
- (١) آية ٦ سورة المدثر برفع تستكثرو ، وقرئ بجزمه على أنه بدل اشتمال لا حال .
(٢) آية ١٧ و ١٨ سورة الليل .
(٣) هذا مبنى على جعله أصل الكلام هنا في الحال المنتقلة ، والحق كما سبق أنه في الحال المؤسسة منتقلة كانت أو لازمة .
(٤) ما جعلت قيداً له هو العامل .
(٥) في الكلام على أحوال المسند ، ودلالته على الحصول بكونه مثبتاً ، وعلى التجديد بكونه فعلاً ، والمراد بالتجدد: حصوله بعد أن لم يكن . كما سبق .
(٦) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد ردّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضياً كان أو حالاً أو استقبالياً . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النكتة (على طولها ومع ورود هذا عليها) نكتة نحوية لا يصح ذكرها في هذا العلم وقد سبقت نكتة ذلك بلاغة عن عبد القاهر من أنك لا تقول «جاءني زيد يسرع» إلا وأنت تريد أن تضم الفعلين في إثبات واحد . ولا تُعنى بالحال كما تعنى بها في قولك «جاءني زيد وهو يسرع» وهذا لا يمنع أن يكون أقوى في الإثبات من قولك «جاءني زيد مسرعاً» .
(٧) الأظافر : جمع أظفار جمع ظفر ، وهذا كناية عن خوفه من تمكنهم منه . وكان عبيد الله بن زياد توعد فهرب منه إلى الشام ، ومالك : هو عريفه الوارد في قوله بعد هذا البيت :

عريفاً مقيماً بدار الهوان أهونَ عليَّ به هالكا

(٨) ١٢٦ - دلائل الإعجاز .

للعطف ، وأصك وأرهن؛ بمعنى: صككت ورهنت . ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكي الحال في أحد الخبرين، ويدعا الآخر على أصله كما في قوله :

ولقد أمرٌ على اللثيم يسبنى فمضيتُ ثمّت قلت لا يعنيني^(١)

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثله ، كما في خبر عبد الله بن عتيك ، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودي حصنه ثم قال : فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهشٌ . فإن قوله « فأضربه » مضارع عطفه بالفاء على ماضٍ ؛ لأنه في المعنى ماضٍ .

وإن كان الفعل مضارعاً منفياً فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ؛ لدلالته على المقارنة لكونه مضارعاً ، وعدم دلالاته على الحصول لكونه منفياً^(٢) أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان ﴿ فاستقيما ولا تتبعان ﴾ بتخفيف النون^(٣) وقول بعض العرب : « كنت ولا أخشى بالذيب » ، وقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورقُ البيضُ أباً ولقد كان ولا يُدعى لأب^(٤)

وقول مالك بن ربيع وكان قد جنى جنايةً فطلبه مُصعبُ بن الزبير :

(١) هو لعميرة بن جابر ، وقد سبق في الكلام على تعريف المسند إليه باللام في الجزء الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله « أمر » بالمضارع مع قوله « مضيت » بالماضي .

(٢) هذه النكتة ضعيفة أيضاً كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفى كالمضارع المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ، والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفى كتأويل المثبت ، وإذا جرينا على مذهب الزمخشري فنكتته أن حرف النفي أبعد عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) آية ٨٩ سورة يونس . أما بتشديدها فهو نهىٌ معطوفٌ على ما قبله ، والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضاً ؛ لأنه نفى في معنى النهى ، ولا يصح أن تكون لحال؛ لأنها تكون حالاً مؤكدة ، وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها .

(٤) الورق : المال من الدراهم ويُجمع على أوراق ، وقد وُصف بالجمع في البيت كما يقال : « الدرهم البيض » ؛ لتعددته في المعنى . يعني أنه أكسبه نسباً معروفاً بعد أن كان مجهولاً .

بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِه فَأَيْنَ أَحِيدٌ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ
أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يَنْهَنِي الْوَعِيدُ^(١)
وَأَمَّا مَجِيئُهُ بِغَيْرِ وَأَوْ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ .
وَقَوْلِ عَكَرِشَةَ الْعَبْسِي :

مَضَوْا لَا يَرِيدُونَ الرُّوْحَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابٌ جَرِينٌ عَلَيَّ قَدْرُ^(٣)
وَقَوْلِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَارْتَفَاعَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبَ^(٤)
وَقَوْلِ الْأَعْشَى :

أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي لَا أُسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ^(٥)
كَأَنَّهُ قَالَ : وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا أَنْ سَرْتُ غَيْرَ سَائِرِ إِلَى حَمِيمٍ .
وَإِنْ كَانَ مَاضِيًّا لَفِظًا أَوْ مَعْنَى فَكَذَلِكَ يَجُوزُ الْأَمْرَانِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ . أَمَّا

(١) قوله « أحيد » بمعنى أنتحي وأنجو منهم ، وقوله « أقادوا من دمي » بمعنى قتلوا بدل قتلهم ، وقوله « ينهنني » بمعنى يزجرني ، والشاهد في قوله : { وما ينهنني الوعيد } .
(٢) آية ٨٤ سورة المائدة .

(٣) هو لأبي شغب عكرشة العبسي من شعر له في رثاء ابنه شغب ، وقيله :

سقى الله أجدائاً ورائي تركتها بحاضر قسرين من سبل القطر

الرواح : الرجوع آخر النهار والمراد به هنا مطلق الرجوع ، وقوله « غالهم » بمعنى أهلكتهم ، والقدر مصدر « قدرته قدرًا » بمعنى قدرته تقديرًا ، أي جرين على أسباب مقدره .
والشاهد في قوله : « لا يريدون الرواح » .

(٤) قوله « لارتفاع قبيلة » تعليل لقوله « دخلوا السماء » والشاهد في قوله « دخلتها لا

أحجب » .

(٥) هما لعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بأعشى همدان ، وكان قد صحب عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمد صحبتته ، وقوله « هزلتنا » بمعنى أضعفتنا ، والحميم : الصديق .
والشاهد في قوله « لا أسير إلى حميم » وهو حال من ياء المتكلم .

مجيئه بالواو فكقوله تعالى حكاية^(١) : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾
وقوله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾^(٢) .

وقول امرىء القيس :

أَيَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

كما شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي^(٣)

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ^(٤) .
وقوله تعالى^(٥) ﴿ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ
لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ ﴾^(٦) . وقول كعب :
لَا تَأْخِذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٧)
وقوله تعالى^(٨) : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ ﴾ . وقول الشاعر :

(١) آية ٤٠ سورة آل عمران .

(٢) آية ٨ سورة مريم .

(٣) هو لحنديج بن حُجْر المعروف بامرئ القيس ، وقوله « شعفت فؤادها » بمعنى غلب
حبها لى على قلبها وخالطه ، وشعفة القلب : رأسه ، والمهنوءة : المطلية بالقطران . وشعفها
بمعنى طلاها ، والمعنى : أن حبها له بلغ ما يبلغ القطران من الناقصة المهنوءة ، فإنه يسرى فى
جسمها حتى يوجد طممه فى لحمها ، والشاهد فى قوله « وقد شعفت » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، وقوله « نضت » بمعنى نزع ، والمتفضل : الذى يبقى فى
ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد فى قوله « قد نضت » .

(٥) آية ٩٣ سورة الأنعام . وهذه الآية وما بعدها من أمثلة الماضى معنئى ؛ وهو المضارع
المنفى بلم ولما .

(٦) آية ٢٠ سورة مريم .

(٧) هو لكعب بن زهير ، والوشاة : جمع واش وهو النمام ، والأقاويل : جمع أقوال
وهى جمع قول . والشاهد فى قوله « ولم أذنب وإن كثرت » .

(٨) آية ٢١٤ سورة البقرة .

بانة قطام ولما يحظ ذو مقية منها بوصول ولا إنجاز ميعاد (١)
وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى: ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم ﴾ (٢) .

وقول الشاعر :

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر (٣)

وقوله :

أئيناكم قد عمكم حذر العدى فلتم بنا أمنا و لم تعدموا نصرا (٤)

وقوله :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرايل (٥)

وكقوله تعالى: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴾ (٧) . وقول امرئ

القيس :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه (٨)

(١) لا يعرف قائله . وقطام : اسم محبوبته ، والمقة : مصدر ومقه يمقه ومقا ومقة «

بمعنى أحبه . والشاهد فى قوله : ولما يحظ .

(٢) آية ٩٠ سورة النساء .

(٣) هو لعبد الله بن مسلم المعروف بأبى صخر الهذلى ، والهزة : بكسر الهاء : اسم

الهيئة من « هز » . والشاهد فى قوله « بلله القطر » .

(٤) لا يعرف قائله ، والحذر : الخوف . وإضافته إلى العدى من إضافة المصدر إلى

المفعول . والعدى : الأعداء . والشاهد فى قوله « قد عمكم » .

(٥) هو لحندج بن حندج المرى ، ومخايل الصبح : طلائعه ، والسرايل : جمع سرايل

وهو القميص ؛ استعيرت لظلام الليل . والشاهد فى قوله « قد لاحت ، وقد مزقت » .

(٦) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

(٧) آية ٢٥ سورة الأحزاب .

(٨) هو لحندج بن حجر المعروف بامرئ القيس من قوله :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

يصف بذلك فرسه . والشأو : الطلق ، والخذروف : الدوارة التى يلعب بها الصبى ،

والمعنى : أنه يدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه . والشاهد فى قوله « لم يجهد » .

وقول زهير :

كَانَ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطِّمْ (١)

والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتاً دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً مثبتاً ، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضياً^(٢) لهذا اشترط أن يكون مع «قد» ظاهرةً أو مقدرةً حتى تقرُّبه إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهرُ هذا يقتضى وجوب الواو في المنفى لانتهاء المعنيين^(٣) لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ؛ أما المنفى بلمّا فلأنها للاستغراق^(٤) وأما المنفى بغيرها فإنه لما دل على انتهاء متقدم^(٥) وكان الأصل استمرار ذلك^(٦) حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه^(٧) بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد^(٨) وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم^(٩).

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران ، ومجىء الواو أولى ؛ أما الأول^(١٠) فلعكس ما ذكرناه في المصدرّة بالماضي المثبت^(١١) ؛ فمجىء الواو كقوله

(١) الفئات : اسم لما انفت وتقطع من الشيء ، والعهن : الصوف المصبوغ ، والفنا : عنب الثعلب . شبه فئات الصوف المصبوغ الذي زينته به الهوادج بحبِّ الفنا في حمرة قبل تحطيمه ؛ لأنه إذا حطم تزول حمرة ، والشاهد في قوله « لم يحطم » .

(٢) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أن دخول « قد » أو حرف النفي على الماضي أبعد عن دخوله مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة ، والدلالة على المقارنة .

(٤) يعنى به امتداد النفي من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٥) أى على زمن التكلم . (٦) أى استمرار الانتفاء .

(٧) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ؛ كقولك : « لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب

اليوم » . (٨) أى من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٩) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عقيب وجود ، أو لا بد للوجود الحادث من

سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفي مجرد انتهاء سبب الوجود ، ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق . (١٠) هو جواز الأمرين .

(١١) عكس ذلك هو أن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، ولا تدل على

حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف هذه النكتة .

تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (١) وقوله : ﴿ ولا تبشروهن بأنتم عاكفون في المساجد ﴾ (٢) .

وقول امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ (٣)

وقوله :

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه وَأَعْيُنٌ مِّنْ أَهْوَى إِلَى رِوَانِ (٤)
والخلوُّ منها كما رواه سيبويه « كَلِمَتُهُ فَوْهٌ إِلَى فَيٍّ ، وَرَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ »
بالرفع (٥) . وما أنشده أبو علي في الإغفال :

ولولا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا أَبَّ عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالَهُ لَمْ يُمَزَّقِ (٦)

وقول الآخر :

ما بال عينك دمعها لا يرقأ؟! (٧)

وقول الآخر :

ثم راحوا عقب المسك بهم (٨)

(١) آية ٢٢ سورة البقرة . (٢) آية ١٨٧ سورة البقرة .

(٣) انظر ص ٤٦ ، والشاهد في قوله « والمشرفي مضاجعي » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، والرواني : جمع رائية وهن مديمت النظر ، والجار والمجرور قبله متعلق به ، الشاهد في قوله « وأعين من أهوى إلى روان » .

(٥) أما النصب وهو « فاه إلى في » ، وعوده إلى بدنه « فيكون الحال فيه مفرداً لا جملة ؛ لأنه يكون كل من « فاه وعوده » هو الحال .

(٦) هو لسلامة بن جندل ، وجنان الليل : ظلمته ، والسربال : القميص وقد استعاره لنفس عامر أو هو كناية . يعني أنه لولا ظلمة الليل لقتل ، والشاهد في قوله : « سرباله لم يمزق » .

(٧) لا يعلم قائله ، والبال : الحال ، وقوله : « لا يرقأ » مأخوذ من : « رقا الدمع أو الدم » جفَّ وانقطع . والشاهد في قوله « دمعها لا يرقأ » .

(٨) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

ثم راحوا عقب المسك بهم يُلْحَفُونَ الْأَرْضَ هَدَابَ الْأُزْرِ

والعقب : مصدر « عقب » بمعنى فاحت رائحته ، وهداب الأزر : ما استرسل منها إلى

الأرض فتكون لها كالحاف وغطاء ، والشاهد في قوله « عقب المسك بهم » . وقبل البيت :

فإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل أمونٍ وطمر

وأما الثاني^(١)؛ فلعدم دلالة الاسم على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة^(٢) فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر^(٣): « إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو؛ كقولك: « جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع » ، ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير؛ بأن يقال « جاءنى زيد يسرع أو مسرعاً »؛ فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتجب الواو » . وقال أيضاً: « إن جعل نحو « على كتفه سيف »^(٤) (بتقديم الظرف) حالاً عن شيء ، كما فى قولنا « جاء زيد على كتفه سيف »؛ كثر فيها أن تجيء بغير واو ، كقول بشار :

إذا أنكرتني بلدةً أو نكرتها
خرجتُ مع البازى على سواد^(٥)

يعنى : على بقية من الليل . وقول أبى الصلت عبد الله الثقفى يمدح ابن ذى
يزن : واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً فى رأس غمدان داراً منك محلالاً^(٦)

(١) هو كون مجيء الواو أولى .

(٢) المهم فى هذه النكته هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الاسمية؛ أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(٣) ١٣٣ - دلائل الإعجاز .

(٤) نحوه كل جملة اسمية خبرها جارٌّ ومجرور ومتقدم .

(٥) قوله « أنكرتني أو نكرتها » بمعنى كرهتني أو كرهتها ، والبازى : الباز؛ وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله « على سواد » ولكن قد يقال : إن خروجه مع الباز كناية عن تكبيره ؛ وعلى هذا تكون جملة « على سواد » حالاً مؤكدة ، وقد سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة .

(٦) هو لأبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى ، وقيل : إنه لأمية ابنه ، والأقرب أنه لأبيه ، والمرتفق : الواقف الثابت الدائم أو المتكئ ، وداراً : منصوب به على الظرفية ، وغمدان : قصر باليمن يشمل على دور قصور تحملها ملوكه ، ومحلالاً : بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها . والشاهد فى قوله « عليك التاج » . والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبيشة من اليمن .

وقول الآخر :

لقد صيرت للذل أعواد منبرٍ تقوم عليها في يدك قضيب^(١)
ثم قال^(٢) : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف ؛ فإنه جائز
باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن^(٣) لاعتماده على ما قبله^(٤) ثم اختار أن يكون
الظرف هنا خاصة في تقدير اسم فاعل ، وجوز أيضاً أن يكون في تقدير فعل ماضٍ
مع « قد » ، ومنع أن يكون في تقدير فعل مضارع ، ولعله إنما اختار تقديره باسم
فاعل لرجوع الحال حيثئذ إلى أصلها في الأفراد ، ولهذا كثر مجيئها بلا واو ، وإنما
جوز التقدير بفعل ماضٍ أيضاً لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقدير بفعل مضارع ؛
لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو^(٥).

ثم قال^(٦) : وربما يحسن مجيء الأسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ؛
كما في قوله :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد^(٧)

فإنه لولا دخول « كأن » عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ؛ كقولك : عسى أن
تبصريني وبنى حوالى الأسود .

(١) هو لأبي وائلة بن خليفة السدوسي في هجاء عبد الملك بن المهلب . والقضيب :
السيف أو الغصن المقطوع . والشاهد في قوله « في يدك قضيب » .
(٢) ١٤٤ - دلائل الإعجاز .
(٣) صاحب الكتاب : سيبويه ، وأبو الحسن : هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش
الأوسط .

(٤) ما قبله هو صاحب الحال ؛ لأن الظرف يكون على هذا متعلقاً بمحذوف منصوب على
الحالية ؛ فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .
(٥) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع ؛ لأنه لا فرق بينه وبين المفرد في امتناع الواو .
(٦) ١٤٠ - دلائل الإعجاز .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب امرأة عدلته في اعتنائه ببنيه ، وقيل :
إنه يقول ذلك لامرأته حين قالت له : ليس لك ولد ، وإن مت ورثك قومك . والحوارد :
الغضاب جمع حارد ، والشاهد في قوله « كأنما بنى حوالى إلخ » وحوالى من « بنى » .

ثم قال (١) : وشبيه بهذا أن تقع حالاً بعقب المفرد فيلطف مكانها (٢) بخلاف ما لو أفردت (٣) كقول ابن الرومي :

والله يقيقك لنا سالماً
برداك تبجيلٌ وتعظيمٌ (٤)

فإنه لو قال « والله يقيقك لنا برداك تبجيل » ؛ لم يحسن .
هذا كله إذا لم يكن صاحبها نكرة مقدّمة عليها ؛ فإن كان كذلك نحو : « جاء رجل وعلى كتفه سيف » ؛ وجب الواو لثلاثته بالنعت :

وأما نحو قوله تعالى (٥) : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ فقال السكاكي (٦) : الوجه فيه عندي هو أن ﴿ ولها كتابٌ معلوم ﴾ حال لقرية لكونها فى حكم الموصوف نازلة منزلة « وما أهلكنا قرية من القرى » لا وصف ، وحمله على صاحبه بأدنى تنبيه ، والخطأ ما لا يتنبه له صاحبه أو يتنبه ولكن بعد تعب . وكأنه عرض بالزمخشري حيث قال فى تفسيره ﴿ لها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة لقرية ،

(١) ١٤٠ - دلائل الإعجاز . (٢) أى مكان الاسمىة بلا واو .

(٣) يعنى لم تقع عقب مفرد .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والبرد : فى الأصل : ثوب مخطط ، وقد ثناه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو لممدوحه أن يبقى سالماً مشتملاً عليه ذلك اشتمال البرد على لابسه . والشاهد فى قوله سالماً برداك تبجيل وتعظيم ؛ لأن الأول « حال مفرد » ، والثانى « جملة اسمية » من غير واو لوقوعها عقبه . هذا والحق أن طريقة عبد القاهر فى الجملة الاسمىة تنظر إليها من جهة البلاغة ، أما تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علماء النحو ، ومثل هذا لا يعنى به هنا ، بنى عبد القاهر مجيء الواو وتركها فى الجملة الاسمىة على قصد الاستثناف وعدمه كما سبق فى الجملة الفعلية ، ولكن الأصل عنده فى الجملة الاسمىة أن تكون مبنية على قصد الاستثناف ، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبتدأة بضمير ذى الحال ؛ لأنها يقصد منها الاستثناف دائماً ، أما غيرها فيجوز أن تأتى على خلاف الأصل فى الجملة الاسمىة ، فتكون فى تأويل المفرد ؛ نحو : « كلمته فوه إلى فى » وكل هذا يجرى على ما يقتضيه حال المخاطب فى الشك والإنكار وغيرهما .

(٦) ١٣٥ : المفتاح

(٥) آية ٤ سورة الحجر

والقياس ألا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾^(١) وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ كما يقال في الحال « جاءني زيد وعليه ثوب » ، « وجاءني رجلٌ وعليه ثوب » ، ثم قال السكاكي^(٢) :

« من عرفَ السبب في تقديم الحال إذا أريد إيقاعها عن النكرة؛ تنبه لجواز إيقاعها عن النكرة مع الواو في مثل: « جاءني رجلٌ وعلى كتفه سيف » ولمزيد جوازه في قوله عزَّ اسمه: ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾^(٣) على ما قدَّمْتُ .

*واعلم أن السكاكي بنى كلامه في الجملة الواقعة حالاً على أصول مضطربة لا يخفى حالها على الفطن ، لا سيما إذا أحاط علماً بما ذكرناه وأتقنه ؛ فأثرنا الإعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل ؛ لئلا يطول الكتاب من غير طائل .

* * *

﴿ جاءني زيد وعليه ثوب ﴾ .

﴿ جاءني رجلٌ وعليه ثوب ﴾ .

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

* * *

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

* * *

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ .

(٢) - المفتاح .

(١) آية ٢٠٨ سورة الشعراء .

(٣) الحجر : ٤ .

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين - ١

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

جزى الله الشدائد كلَّ خير عرفتُ بها عدوىً من صديقي

(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

سافرُ تجدُ عوضاً عمَّنْ تفارقه وانصبَّ فإنْ لذيد العيش في النَّصبِ

تمرين - ٢

(١) بيِّن موضع الوصل والفصل في قوله تعالى آية ١ ، ٢ سورة الكوثر: ﴿إنا

أعطيناك الكوثر ، فصلٌ لربك وانحر﴾ .

(٢) بين الفصل لكمال الانقطاع ولشبهه كمال الاتصال في قوله الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟ قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويلٌ

تمرين - ٣

(١) بين سبب الفصل في موضعيه من قوله تعالى آية ٢ سورة الرعد: ﴿يُدبرُ

الأمرَ يفصلُ الآياتِ لعلَّكم بِلقاء ربِّكم توقُّنون﴾ .

(٢) لأي جامع وُصل في قول الشاعر :

ولستُ بهيَّابٍ لمنْ لا يهابُنِي ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا

تمرين - ٤

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين في قوله :

الفقر فيما جاوزَ الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

(٢) مر أبو بكر رضي الله عنه برجل في يده ثوب فقال له : أتبيع هذا ؟ فقال : لا

يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا، وقل : ويرحمك الله . فأمره بزيادة « واو » بين لا ، وقوله « يرحمك الله » ؛ ليكون وصلاً لا فصلاً؛ فما هو السبب في أمر أبي بكر له بالوصل بين الجملتين ؟ وهل الوصل يجب في ذلك بلاغاً أو نحواً ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟ .

تمرين - ٥

(١) لماذا فصل بين الجملتين في قول الشاعر :

قُمْ للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

(٢) بين سبب الوصل والفصل في قوله تعالى آية ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة المزمل ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً ، وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلاً ، إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً ﴾ .

تمرين - ٦

(١) بين موضع الوصل للتناسب في الاسمية والفعلية ، ولم وصل مع عدمه في قوله تعالى آية ١١ سورة سبأ : ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ . وبين لم فصل فيه الحال أيضاً ؟ .

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو في قول الشاعر :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بمكة حولي إذخر وجليل

(٣) لماذا عطف « يذبحون » في قوله تعالى : آية ٦ سورة إبراهيم : ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ولم يعطف في قوله تعالى آية ٤٩ سورة البقرة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ؟ .

* * *

الباب الثامن القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب والمساواة :

قال السكاكى^(١): «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسيبين^(٢) لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق^(٣) والبناء على شىء عرفى^(٤) مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم - ولا بد من الاعتراف بذلك^(٥) - مقيساً عليه^(٦) ولنسمه «متعارف الأوساط» وأنه فى باب البلاغة لا يُحمد منهم ولا يُذم .

فالإيجاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط^(٧) ، **والإطناب** : هو أداؤه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل^(٨) ثم قال^(٩) : « الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجع فى بيان

(١) - ١٥٠ - المفتاح .

(٢) إنما كانا نسيبين ؛ لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضاً .

(٣) يعنى بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه ؛ لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فربَّ كلام موجز يكون مطنّباً بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أى وإلا بالبناء على شىء عرفى وهو ما يعرفه أهل العرف فى الجملة ؛ لأن هذا أقرب شىء يُرجع إليه فى مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أى ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطوا إلى حال الفهاهة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال فى الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما فى الجملة ؛ لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

(٧) يسمى الإيجاز باسم الإشارة فى بعض كتب البلاغة .

(٨) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارة عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لا فضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساوياً له لا يكون بليغاً مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل : إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام بأن يكون من يخاطبه من الأوساط . والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتى .

(٩) - ١٥٦ - المفتاح .

دعواه^(١) إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليقاً بأبسط مما ذُكر أُخرى^(٢) . وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبياً لا يقتضى ألا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفى^(٣) ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذى يكون المقصود جديراً به ردُّ إلى جهالة^(٤) فكيف يصلح للتعريف ؟ !

تعريف الخطيب :

والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية الأصل المراد^(٥) بلفظ مساوٍ له^(٦) أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة أن

-
- (١) أى سماء ، مأخوذ من « دعاه بكذا » بمعنى سماه به .
- (٢) هذا عندما يكون أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر؛ كقوله تعالى آية ٤ سورة مريم ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ هو إيجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط فى ذلك ؛ وهو قولهم « يا رب شختُ » بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر فى ذلك أن يكون أقل ما يقتضيه المقام فى الظاهر ؛ لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغاً .
- (٣) يعنى أن كونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بينه بما سبق ، وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع فى بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .
- (٤) أجيب عنه بأنه يراد من متعارف الأوساط الكلام الذى تكون فيه الألفاظ على قدر المعانى الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه ردّاً إلى جهالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبنى على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له ، وليس معنى حقيقياً يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .
- (٥) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد المتكلم به إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .
- (٦) على هذا تكون المساواة داخلية فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تدم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ؛ لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا ينافى قبولها من أوساط الناس ؛ ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط ، والخطيب يعنى بالمقبول من طريق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط ، ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

يكون اللفظ بمقدار أصل المراد؛ لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ، كما سيأتي ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، كما سيأتي .

الإخلال : وقولنا « واف » احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ؛ كقول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً^(١)

فإنه أراد « إذ يقتلون نفوسهم في السلم » ، وقول الحارث بن حِزَّة :

والعيشُ خيرٌ في ظلالِ النَّوْكَ من عاش كدّاً^(٢)

فإنه أراد « العيش الناعم في ظلال النوك خيرٌ من العيش الشاق في ظلال العقل » ؛ فأخلف كما ترى .

التطويل والحشو :

وقولنا « لفائدة » احتراز من شيئين : أحدهما : **التطويل** ؛ وهو ألا يتعين الزائد في الكلام ؛ كقوله :

وألْفَى قولها كذباً وميناً^(٣)

فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما : ما يشتمل على الحشو ؛ **والحشو** ما يتعين أنه الزائد؛ وهو ضربان :

أحدهما : ما يفسد المعنى ؛ كقول أبي الطيب :

(١) يعنى بقتلهم نفوسهم: موتهم على فراشهم جبناً عن القتال ، والوغى : الحرب ، وأفعل التفصيل في قوله « أعذرا » ليس على بابه ؛ لأنه يريد نفي العذر عنهم في قتلهم نفوسهم .

(٢) النوك : الحمق ، والكد : مصدر « كد » إذا اشتد في العمل .

(٣) هو لعدى بن زيد العبادى من قوله :

وفاجأها وقد جمعتُ جموعاً على أبواب حصن مصلتيناً

وقدّدت الأديم لراهشيه وألْفَى قولها كذباً وميناً

وقيل : إنه لعدى بن الأبرش ، وقوله : « قددت » بمعنى قطعت ، وضميره للزباء ملكة تدمر ، والأديم : الجلد ، والراهشان : عرقان في باطن الذراع ، والضمير المضاف إليه لجزيمة بن الأبرش ملك الحيرة وقصتهما معروفة . وقد روى « كذباً مبيئاً » فلا يكون فيه تطويل ، وقيل : إنه لا تطويل في الرواية الأولى ؛ لأن القصد منه التأكيد ، والمقام يقتضيه .

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب^(١)

فإن لفظ « الندى » فيه حشو يفسد المعنى ؛ لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة^(٢) دون الندى ؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلدُ في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ؛ ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقى له ؟ أنى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفة :

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فذرني أبادرها بما ملكتَ يدي^(٣)

وقول مهيار :

فكلَّ إن أكلتَ وأطعمَ أخاكَ فلا الزادُ يبقى ولا الأكلُ^(٤)

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تُحمد ، والندى بالصد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى في البيت: بذل النفس لا بذل المال ؛ كما قال مسلم بن الوليد :

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المنتبى . والندى : الكرم . وشعوب : علم جنس للمنية وهي الموت ، وقد جر بالكسر لأجل الروى ؛ لأنه مما لا ينصرف فيجر بالفتحة .
(٢) كذلك الصبر لتيقن الصابر زوال المكروه في العادة على تقدير الخلود : فلا يكون في صبره فضل أيضاً .

(٣) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة وقبله :

ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدى ؟

والمنية : الموت ، وقوله « ذرني أبادرها » بمعنى اتركني أسبقها بالتمتع بمالي قبل أن تحرمني منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب في بذل ماله : كيف لا أبذل إلخ .

(٤) هو لمهيار بن مرزويه الديلمي . وقوله « إن أكلت » بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو

التقدير « فكل وأفضل إن أكلت » .

ي جود بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
ورُدَّ بأن لفظ « الندى » لا يكاد يُستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى
وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

والثاني ما لا يُفسد المعنى كقوله :

ذكرتُ أخصى فعاودنى صداعُ الرأسِ والوصبُ (١)

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا في
الرأس ، وليس بمفسد للمعنى . وقول زهير :

وأعلمُ علمَ اليومِ والأمسِ قبله ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عمي

فإن قوله « قبله » مستغنى عنه غير مفسد . وقول أبي عدى :

نحن الرءوس وما الرءوس إذا سمّت في المجدد للأقوام كالأذنان (٢)

فإن قوله « للأقوام » حشوٌ لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد (٣) .

* واعلم أنه قد تشبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد
من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثله بعض الناس (٤) بقول القائل :

(١) هو لأبي العيال بن أبي عنتره الخفاجي من قصيدته في رثاء أخ له ، والصداع : وجع
الرأس ، والوصب : المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضاً أن الذاكر لما فات من محبوب
يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع .

(٢) هو كما في « حسن التوسل » لأبي عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلي الأموي
القرشي ، والمراد بالرءوس : أشرف الناس ورؤساؤهم ، والمراد بالأذنان : سفلتهم . وكان أبو
عدى من بنى أمية ملوك المسلمين بعد الخلفاء الراشدين .

(٣) هذا وقد قيد ابن مالك قبح الحشو غير المفسد بما ليس فيه بديع ؛ فإن كان فيه بديع
حسن ؛ كقول المتنبي :

وخفوقُ قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لرأيت فيه جهنما

فقوله « يا جنتي » حشو ولكنه حسن ؛ لما فيه من المطابقة لجهنم ، والمطابقة من المحسنات
البيعية .

(٤) منهم ابن قتيبة ؛ إذ يقول في هذه الأبيات : إنها كفارغ بندق ، وليس فيها على
ضخامة لفظها كبير معنى . فهي عنده من التطويل الذي لا فائدة فيه .

ولمَّا قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدَّت على دُهم المهاري رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح^(١)

يُبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه^(٢) قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبّر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار ، ثم نبه بقوله « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ، ثم قال « وشدت » البيت ، فوصل بذكر مسح الأركان ما وكيه من ذم الركاب وركوب الركبان . ثم دل بلفظ « الأطراف » على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء^(٣) وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجه ألفة الأصحاب ، وأنسه الأحاب ويلىق بحال من وفقَّ لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهانى والتحايا من الخلان والإخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال « وسالت بأعناق المطى الأباطح » فنبه بذلك على سرعة السير ووطأة الظهر ، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله ؛ لأن الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرها سهلاً سريعاً زاد ذلك فى نشاط الركبان ، فيزداد الحديث طيباً ، ثم قال « بأعناق المطى » ولم يقل بالمطى ؛ لأن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران

(١) هى لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقيل : لابن الطثرية ، وقيل : لعقبة ابن كعب بن زهير المعروف بالضرَب ، والأركان : أركان الكعبة ، والدهم : السود ، والمهاري : جمع مهريه وهى نوق منسوبة إلى مهرة ، والغادى : السائر فى أول النهار ، والرائح : ضده ، والأباطح : جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى . وقد ذكر من عهد هذه الأبيات زائدة على أصل المراد أن أصله فيها « ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام » والزائد على هذا فيها تطويل عنده لا فائدة فيه .

(٢) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أسرار البلاغة .

(٣) فأطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها .

غالبًا في أعناقها ، ويتبين أمرهما من هواديهما^(١) وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة^(٢) .

* * *

(١) جمع هادية وهي العنق .

(٢) ظاهر كلام عبد القاهر أن الأبيات الثلاثة من الإيجاز ، وقيل : إنها من المساواة ، وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ؛ لأن هذا من أهم ما يُعنى به في علم المعاني ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق في المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوبٌ أو نحو ذلك . وللإيجاز مواضع ثلاثه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع ثلاثه كالمدح والفخر والوعظ ، أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه ، وهذه النكتة لا يعتمد بها في البلاغة كما سبق ؛ ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة .

القسم الأول - المساواة

كقوله تعالى: ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾^(١) وقوله: ﴿وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾^(٢)
وقول النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع^(٣)

* * *

(١) آية ٤٣ سورة فاطر ، ولا يقدح في عده من المساواة ما فيه من حذف المستثنى منه ؛ لأن اعتبار الحذف في ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ؛ حتى إنه لو صرح به يكون من الحشو ، نعم يقدح في عده من المساواة أنه يقع تذييلاً في آية ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ اللهم إلا أن ينظر في عده من المساواة إليه في ذاته بقطع النظر عما قبله ، ولكنه إذا نظر إليه في ذاته فهو من القصر الذي سبق أنه نوع من الإيجاز ، وقد عد العسكري الآية من الإيجاز في كتاب : «الصناعتين» وقد قيل : كيف تقع المساواة في القرآن وهي لا تصل إلى رتبة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقوعها في موضع من القرآن لا يمنع اشتماله على وجوه أخرى من البلاغة . ولا يخفى ضعف هذا الجواب ؛ لأنه يشترط في المساواة أن تكون خالية من جميع الاعتبارات البلاغية كما سبق في تعريفها ، والحق أنها نادرة الوقوع في الكلام البليغ ، وإنما تقع في كلام الأوساط كما سبق .

(٢) آية ٦٨ سورة الأنعام .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمتأى : مكان الانتباء وهو البعد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ؛ لأن الواسع في الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذي لجأ إليه النابغة ، ولا يقدح في عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .
ومما يُعدُّ من المساواة قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

القسم الثاني - الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر :

أحدهما إيجاز القصر^(١) وهو ما ليس بحذف ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولکم فی القصاصِ حياة ﴾^(٢) فإنه لا حذف فيه^(٣) مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثيرٌ من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياةً لهم ، وفضله - على ما كان عندهم أوجزَ كلام في هذا المعنى ؛ وهو قولهم : « القتل أنفى للقتل » - من وجوه :

أحدها : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ في القصاص حياة ﴾ عشرة في التلّفظ^(٤) وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ؛ فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما يفيد تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية كما سبق^(٥) .

ورابعها : أطراده ، بخلاف قولهم ؛ فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

(١) بكسر القاف وفتح الصاد ، وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد . وكثرة

المعاني مع قصر الألفاظ تأتي من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالاته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) آية ١٧٩ سورة البقرة .

(٣) أي لم يحذف فيه شيء مما يؤدي به من أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور بتفديده

لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هي الفاء واللام والقاف والصاد والألف والصاد والحاء ، والياء ، والألف ، والتاء ،

ولم يضيف التنوين إليها لسقوطه في الوقف .

(٥) في الكلام على تنكير المسند إليه في الجزء الأول .

وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم .
وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن تقديره « القتل
أنفى للقتل من تركه » (١) .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة ؛ فالجمع بينهما طباق كما سيأتى (٢) .
وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال « فى » عليه على ما
تقدم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) أى هُدًى للضالين الصائرين إلى
الهدى بعد الضلال (٤) وحسنه التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يتول إليه (٥) وإلى
تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله : ﴿ أَتَنَبَّأُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ (٦) أى بما
لا ثبوت له ولا علم لله متعلق بثبوته نفيًا للملزوم بنفى اللازم (٧) وكذلك قوله تعالى :
﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٨) أى لا شفاعاة ولا طاعة على أسلوب
قوله :

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره (٨)

(١) قيل : هذا تقدير إعرابى كما فى الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على بابه
فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحق أنه يراد من قولهم إن القتل أنفى
للقتل من كل راجر ، وهذا هو الذى يجب أن يقدر لا ما قدره الخطيب وهو ليس تقدير إعراب ،
وأفعل التفضيل فيه على بابه .

(٢) فى علم البديع .
(٣) آية ٢ سورة البقرة .
(٤) فلا يراد « المتقون » بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة
والنقصان ؛ فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٥) فىكون مجازاً مرسلأ .
(٦) آية ١٨ سورة يونس .
(٧) الملزوم الثبوت واللازم العلم .
(٨) آية ١٨ سورة غافر .

(٨) هو لحنج بن حجر المعروف بامرىء القيس من قوله :
على لاحبٍ لا يهتدى بمناره إذا ساقه العودُ النباطى جرجراً
واللاحب : الطريق يمشى على جهة ، والمنارة : ما يجعل عليه من علامة ، وقوله « ساقه »
بمعنى شمه ، والعود : الجمل المسن ، والنباطى : الضخم منسوب إلى النبط ، وقوله « جرجر »
بمعنى : رغا وضج ، وإنما يرغو الجمل لمعرفة بعد الطريق .

أى لا مناز ولا اهتداء ، وقوله :

ولا ترى الضبَّ بها ينجر^(١)

أى لا ضب ولا المنجر .

ومن أمثلة الإيجاز أيضاً قوله تعالى^(٢) فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ؛ لأن قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الشهوة^(٣) ؛ فإن العفو ضد الجهل ؛ قال الشاعر :

خذى العفو منى تستديى مودتى^(٤)

أى خذى ما تيسر أخذه وتسهّل ، قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلین ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب^(٥) ، أى أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدلّ عليه بقوله : ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أى بالمعروف والجميل من الأفعال ؛ ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما روى عنه : أمر الله نبيه صلّى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق ، وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .

(١) هو لأوس بن حجر :

لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضبَّ بها ينجر

يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفزع أرنبها ، أو ينجر به ضبها أى يدخل جحره ، والشاهد فى البيتين ورود النفى على المقيد وقيده معاً ، لا وروده على القيد فقط .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

(٣) هى قوة النفس تبعث على جانب المنافع ، وإصلاحها يجعلها تطلب ما تيسر لا ما

تعسر .

(٤) هو لأسماء بن خارجة الفزارى من قوله :

خذى العفو منى تستديى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

يخاطب بذلك امرأته ، وسورة الشىء : شدته .

(٥) هى قوة النفس تبعث على دفع المضار .

ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعب الرِّحال وأسندوا أيدي الطَّعانِ إلى قلوب تخفق^(١)

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام عبر عن ذلك بقوله « أيدي الطعان » .

ومنها ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون لرجل يُعنى به إلى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : « كتابي إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

• إيجاز الحذف :

والضرب الثانى إيجاز الحذف؛ وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

والأول : إما مضاف ؛ كقوله تعالى : ﴿ وأسأل القرية ﴾^(٢) أى أهلها ، وكقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾^(٣) أى تناولها ؛ لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله تعالى : ﴿ حرمت عليهم طيبات أحلت لهم ﴾^(٤) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ؛ ليدخل فيه شرب ألبان الإبل ؛ فإنها من جملة ما حرمت عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾^(٥) ؛ أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب ؛ لأنهم حرّموا ركوبهم وتحميلها ، وكقوله تعالى : ﴿ لمن كان يرجو الله ﴾^(٦) أى رحمة الله ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم ﴾^(٧) أى عذاب ربهم ، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾^(٨) .

(١) هو لمحمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وشعب الرحال : خشبها . وميلهم إليها : كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله « تخفق » بمعنى تضطرب لفرق الأجابة .

(٢) آية ٨٢ سورة يوسف . (٣) آية ٣ سورة المائدة .

(٤) آية ١٦٠ سورة النساء . (٥) آية ١٣٨ سورة الأنعام .

(٦) آية ٢١ سورة الأحزاب . (٧) آية ٥٠ سورة النمل .

(٨) آية ٥٧ سورة الإسراء .

وإما موصوف ؛ كقوله :

أنا ابن جَلَا وطلاّع الثنايا^(١)

أى أنا ابن رَجُلٍ جَلَا^(٢)

وإما صفة ؛ نحو : ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينة غصباً ﴾^(٣) أى كل سفينة صحيحة أو سالحة أو نحو ذلك ؛ بدليل ما قبله^(٤) وقد جاء ذلك مذكوراً فى بعض القراءات ؛ قال سعيد بن جبّير : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة سالحة غصباً ﴾ . وإما شرط كما سبق^(٥) .

وإما جواب شرط ، وهو ضربان :

أحدهما : أن يحذف لمجرد الاختصار^(٦) كقوله تعالى^(٧) : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾ أى أعرضوا بدليل^(٨) قوله بعده ﴿ إلا

(١) هو لسُحيم بن وثيل :

أنا ابنُ جَلَا وطلاّعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

والثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبل أو الطريق الصعب منه ، ويعنى بكونه طلاعاً للثنايا أنه ركّاب لصعاب الأمور ، والمراد بالعمامة : عمامة الحرب وهى البيضة ، يعنى أنه متى يضعها على رأسه يعرفوا شجاعته .

(٢) جلا : إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمر ، أو بمعنى « كشف الأمور » وهذا مبنى على القول بجواز حذف موصوف الجملة مطلقاً ، وقيل : إنه لا يجوز إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو فى كقولهم « منا ظعن ومنا أقام » أى فريق ظعن وفريق أقام ، وقيل : إن « جلا » علم لرجل فلا يكون فيه حذف ، وعلى هذا يكون منقولاً عن جملة ، ولهذا لم يصرف .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف .

(٤) هو قوله : ﴿ فأردتُ أن أعيبها ﴾ .

(٥) فى آخر باب الإنشاء من هذا الجزء من تقدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام

والأمر والنهى .

(٦) هذه نكتة لفظية .

(٧) آية ٤٥ سورة يس .

(٨) قيل : إنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق فى بيت النابغة فيكون من

المساواة مثله ، وأجيب بأن جواب الشرط فى البيت سابق عليه فأغنى عنه عرفاً ؛ حتى إن

الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط فى الآية بخلاف ذلك .

كانوا عنها معرضين ﴿ وكقوله تعالى (١) : ﴿ ولو أن قرآنًا سِيرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرضُ أو كُلِّم به الموتى ﴾ أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى (٢) : ﴿ قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ﴾ أى أستم ظالمين ؟ بدليل قوله بعده ﴿ إنَّ الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

والثانى : أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف (٣) أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن (٤) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُن شىء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده (٥) كقوله (٦) ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ وقوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ (٧) ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ (٨) ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ﴾ (٩) .

قال السكاكى رحمه الله (١٠) « ولهذا المعنى حُذفت الصلة من قولهم : جاء بعد

-
- (١) آية ٣١ سورة الرعد . (٢) آية ١٠ سورة الأحقاف .
(٣) هذه النكتة معنوية . وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة فى أمر ؛ لكونه مرغوباً فيه أو مرهوباً منه .
(٤) هذا فى الحقيقة لازماً لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثالا خاصاً به ، ولكنه عطف « بأو » نظراً إلى أن مفهوماً مختلفاً ؛ فارة يقصدهما البليغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .
(٥) قيل : إنهم يقدرونه فى ذلك بما لو صرح به لم تفد هذه النكتة ، كما سيأتى فى نحو قوله تعالى آية ٢٧ سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ فالتقدير لرأيت أمراً عظيماً ، وأجيب بأن هذا تقدير تقريبي ، والجواب الحقيقى شىء مخصوص حذف لإظهار فظاعته .
(٦) آية ٧٣ سورة الزمر ، ويقدر جواب « إذا » بعد قوله ﴿ خالدين ﴾ والتقدير : - لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .
(٧) آية ٢٧ سورة الأنعام .
(٨) آية ٣٠ سورة الأنعام .
(٩) آية ١٢ سورة السجدة . وجواب « لو » فى الآيات الثلاثة : لرأيت أمراً عظيماً أو فظيماً .
(١٠) ١٥٢ - المفتاح .

اللتيا والتي^(١) أى المشار إليه بهما ، وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفضاعة شأنها مبلغاً يهتُ الواصف معه حتى لا يجيب بنت شفة .

وإما غير ذلك^(٢) كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾^(٣) أى ومن أنفق من بعده وقاتل^(٤) بدليل ما بعده^(٥) .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٦) لأن أصله « يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس مني شيباً » وعده السكاكى من القسم الثانى من الإيجاز على ما فسره^(٧) ؛ ذاهباً إلى أنه وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلام المشيب جديران بأبسط منه ، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى ، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يا ربى قد شخت » فإن الشيوخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ، ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى » ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بـ « وهنت عظام بدنى » لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدأ^(٨) فحصل « أنا وهنت عظام بدنى » ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت « إن » على المبتدأ فحصل « إني وهنت عظام بدنى » ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قُصد مرتبة سادسة ، وهى سلوك طريقى الإجمال والتفصيل ، فحصل « إني وهنت العظام من بدنى » ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة ؛ وهى ترك

(١) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية الصغيرة وهو مثل أصله أن رجلاً من جدّيس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها شدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شدائد أيضاً . فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً .

(٢) أى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق فى أبوابه .

(٣) آية ١٠ سورة الحديد .

(٤) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطف .

(٥) هو قوله : ﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ .

(٦) آية ٤ سورة مريم .

(٧) هو الذى يكون مقامه خليقاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ : المفتاح .

(٨) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم .

توسيط البدن ، فحصل « إني وهنت العظام مني » ثم لطلب شمول الوهن العظام فرداً فرداً قصدت مرتبة ثامنة ، وهي ترك الجمع إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فحصل ما ترى^(٢) وهكذا تركت الحقيقة في « شاب رأسي » إلى الاستعارة في « اشتعل شيب رأسي » لما سيأتي أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بـ « شيباً » ؛ لأنها أبلغ من جهات :

إحداها : إسناد الاشتمال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس ؛ إذ وزان «اشتعل شيب رأسي ، واشتعل رأسي شيباً» وزان «اشتعل النار في بيتي ، واشتعل بيتي ناراً» والفرق بين نيران

وثانيها : الإجمال والتفصيل في طريقي التمييز .

وثالثها : تنكير « شيباً » لإفادة المبالغة ، ثم ترك « اشتعل رأسي شيباً » لتوخي مزيد التقرير إلى « اشتعل الرأس مني شيباً » على نحو : « وهن العظم مني » ثم ترك لفظ « مني » لقرينة عطف « اشتعل الرأس » على « وهن العظم مني » لمزيد التقرير ، وهو إيهام حوالة تأدية مفهومة على العقل دون اللفظ .

ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذي فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول في القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين ، وهي « رَبَّ » اختصرت ذلك الاختصار ؛ بأن حذفت كلمة النداء وهي « يا » وحذفت كلمة المضاف إليه وهي ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى ، والمقدمة لكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكما أن البناء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدَّر من البناء عليه ، كذلك البليغ يصنع مبدأ كلامه ، فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد آذنتك باختصار ما يورد « انتهى كلامه » .

(١) يعني أنه لو قيل « وهن العظام مني » لصح مع وهن بعضها ؛ لأنه يكفي في وهن المجموع وهن بعضه ، بخلاف « وهن العظم » لأن « ال » فيه للاستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد .

(٢) أي قوله تعالى : « رَبَّ إِنِّي وَهِنَ الْعِظَمِ مِنِّي » .

وعليك أن تتنبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ؛ لأننا لا نسلم بصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشري ؛ قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية^(٢) وقصده إلى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملة ؛ حتى لا يبقى من السواد شيئاً أو لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به .

والثاني : - أعنى ما يكون جملةً - إما مسببٌ ذُكر سببه ، كقوله تعالى^(٣) ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ أى فعل ما فعل^(٤) وقوله : ﴿ وما كنت بجانب الطُّور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾^(٥) أى اخترناك ، وقوله : ﴿ ليدخل الله فى رحمته من يشاء ﴾^(٦) أى كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبى الطيب :

أتى الزمان بنوه فى شيبته فسرهم وأتيناها على الهرم^(٧)

أى : فساءنا .

(١) لأنه إذا كانت « ال » فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ؛ لما سبق من أنه لا فرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع فى الإثبات .
(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها ، والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك .

(٣) آية ٨ سورة الأنفال .

(٤) يجوز تعليق قوله : ﴿ ليحق ﴾ بيقطع من قوله قبله ﴿ يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ فلا يكون فيه حذف .

(٥) آية ٤٦ سورة القصص .

(٦) آية ٢٥ سورة الفتح .

(٧) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والضمير فى « بنوه » للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشيبيته : أوله وهو مقبل ، وهرمه : آخره وهو مدبر .

أو بالعكس^(١) كقوله تعالى^(٢) : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ أى فامتثلتم فتاب عليكم ، وقوله : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾^(٣) أى فضربه بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدر « فإن ضربت بها فقد انفجرت »^(٤) .

أو غير ذلك^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ فنعم الماهدون ﴾ على ما مر^(٧) .
والثالث^(٨) كقوله تعالى^(٩) : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ أى فضربوه ببعضها فحيى فقلنا ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف ﴾^(١٠) أى فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف ، وقوله : ﴿ اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾^(١١) . أى فأتيهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم ، وقوله : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألم نربك ﴾^(١٢) . أى فأتياه فأبلغاه ذلك ، فلما سمعه قال ﴿ ألم نربك ﴾ . ويجوز أن يكون التقدير : فأتياه فأبلغاه ذلك ، ثم يقدر : فماذا قال ؟ فيقع قوله ﴿ ألم نربك ﴾

(١) عكسه سبب ذكر مسبيه .

(٢) آية ٥٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٤) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر « قد » فى الجواب لأجل

الفاء ، ولكن يلزم على مثل هذا التقدير أن يكون الجواب ماضياً لفظاً ومعنى مع أن الشرط

مستقبل فى المعنى . اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمنا بأنها انفجرت .

(٥) أى غير المسبب والسبب . (٦) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٧) فيكون التقدير « هم نحن أو نحن هم » وهذا على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ

محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره ، فإن

المحذوف عليه فى الآية جزء جملة .

(٨) هو ما يكون أكثر من جملة .

(٩) آية ٧٣ سورة البقرة .

(١٠) آية ٤٥ ، ٤٦ سورة يوسف .

(١١) آية ٣٦ سورة الفرقان .

(١٢) آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ سورة الشعراء .

استثناءً ، ونحوه قوله : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ * قالت يا أيها الملأ ﴿ (١) أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فقال : فماذا قالت ؟ فقيل : ﴿ قالت يا أيها الملأ ﴾ وأما قوله تعالى ﴿ (٢) : ﴿ ولقد آتينا داودَ وسليمانَ علماً وقالوا الحمدُ لله ﴾ فقال الزمخشري فى تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقال « أعطيته فشكر ومنعته فصبر » ، وعطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال : فعلا به وعلمنا به وعرفنا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ وقال السكاكى ﴿ (٣) : يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعمّا قالاه ؛ كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتماداً على فهم السامع ﴿ (٤) كقولك « قم يدعوك » بدل : قم فإنه يدعوك .

واعلم أن الحذف على وجهين : أحدهما : ألا يُقام شيء مقام المحذوف كما سبق ﴿ (٥) . والثانى : أن يقام مقامه ما يدل عليه ؛ كقوله تعالى ﴿ (٦) : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم ﴾ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ والتقدير « فإن تولوا فلا لوم على لائى قد أبلغتكم » ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم . وقوله : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبتُ رسلٌ من قبلك ﴾ ﴿ (٧) أى فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك ، وقوله : ﴿ وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ ﴿ (٨) أى فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين ﴿ (٩) .

وأدلة الحذف ﴿ (١٠) كثيرة : منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر ﴿ (١١)

(١) آية ٢٨ ، ٢٩ سورة النمل .

(٢) آية ١٥ سورة النمل .

(٣) ١٥١ : المفتح .

(٤) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٥) فيكفى فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٦) آية ٥٧ سورة هود . (٧) آية ٤ سورة فاطر .

(٨) آية ٣٨ سورة الأنفال .

(٩) أى فإنه قد قضت سنتهم ، كما صنع فى الآيتين السابقتين .

(١٠) يعنى الحذف الذى لا يقام فيه شيء مقام المحذوف ، لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك ،

بخلاف الحذف الذى يقام فيه شيء مقام المحذوف ، فإن ما يقام مقامه يدل عليه .

(١١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى^(١) : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْحَمُّ الْخَنْزِيرُ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية^(٢) فإن العقل يدل على الحذف لما مر^(٣) والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير : حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ؛ كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٤) أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾^(٥) أى عذاب الله أو أمره .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين^(٦) كقوله تعالى^(٧) حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ دل العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير : فى حبه ، لقولهن^(٨) : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ وأن يكون : فى مراودته ، لقولهن : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وأن يكون : فى شأنه وأمره فيشملهما ، والعادة دلت على تعيين المراودة ؛ لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى^(٩) : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَآ لَا تَبْعَانَاكُمْ ﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون إنهم لا يعرفونها ، فلا بد من حذف ؛ قدره مُجَاهِدٌ رحمه الله ؛ مكان قتال ، أى إنكم تقاتلون فى

(١) آية ٣ سورة المائدة .

(٢) آية ٢٣ سورة النساء .

(٣) من أن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذوات .

(٤) آية ٢٢ سورة الفجر . (٥) آية ٢١٠ سورة البقرة .

(٦) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه عرفاً ، كتقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفرق دلالة العادة على التعيين عن دلالة المقصود الأظهر عليه .

(٧) آية ٣٢ سورة يوسف .

(٨) آية ٣٠ سورة يوسف وكذلك ما بعده .

(٩) آية ١٦٧ سورة آل عمران .

موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدلُّ عليه أنهم أشاروا^(١) على رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها .

ومنها الشروع فى الفعل ؛ كقول المؤمن « بسم الله الرحمن الرحيم » كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة « بسم الله » فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » ، وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أى فعل كان ، فإن المحذوف يُقدَّر ما جعلت التسمية مبدأ له^(٢) .

ومنها اقتران الكلام بالفعل^(٣) فإنه يفيد تقديره ؛ كقولك لمن أعرس : « بالرفاء والبنين » فإنه يفيد : بالرفاء والبنين أعرست .

* * *

(١) الضمير فى هذا وفيما قبله للمناققين المتخلفين عن غزوة أحد .
(٢) الحق أن الشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والذى يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلِّق ، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع فى الفعل .
(٣) هو كالشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه فى الشروع الفعل .

هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل فى نوع القرائن الحالية ، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية ، وهى أكثر وقوعاً من غيرها ، وقد سبقت أمثلتها فى أقسام الإيجاز بالحذف .

وهذه أمثله شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرى قد خاننى بعد صحبة
وإن هو لم يُحْمِلْ على النفس ضيهاً
وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلماً
فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ
أعددت مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

القسم الثالث : الإطناب

أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ؛ ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام ، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشئ إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ؛ كقوله تعالى (١) : ﴿ قال ربّ اشرح لى صدرى * ويسرّ لى أمرى ﴾ فإن قوله : ﴿ اشرح لى ﴾ يفيد طلب شرح لشيء ما له (٢) وقوله ﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه (٣) وكذلك قوله : ﴿ ويسرّ لى أمرى ﴾ والمقام مقتضى للتأكيد ، للإرسال (٤) المؤذن بتلقى المبكّره والشدائد ، وكقوله تعالى (٥) : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ ففى إبهامه (٦) وتفسيره تفخيم الأمر وتعظيم له .

(١) آية ٢٥ ، ٢٦ سورة طه .

(٢) لأن قوله ﴿ اشرح لى ﴾ فى تقدير : اشرح شيئاً لى ، ويجوز تعليق « لى » باشرح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال « اشرح صدرى » ، والإطناب فى الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى فى قوله قبله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ واللام فى « الإرسال » للتعليل .

(٥) آية ٦٦ سورة الحجر .

(٦) أى إبهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من « أن » واسمها وخبرها لأنه عطف بيان أو بدل ، ولو لم يطنب لقال : « وقضينا إليه أن دابر إلخ » .

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب « نعم وبئس » على أحد القولين^(١) إذ لو لم يُقصد الإطناب لقليل : « نعم زيد وبئس عمرو »^(٢) ووجه حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران :

أحدهما : إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ في الجواب^(٣) .

والثاني : إبهام الجمع بين المتنافيين^(٤) .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسرٍ باسمين أحدهما معطوف على الآخر^(٥) كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرصُ وطولُ الأمل » ، وقول الشاعر :

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعـرِها شبيهةً خديها بغير رقيب
فما زلتُ في ليلين : شعراً وظلمةً وشمسين : من خميرٍ ووجهٍ حبيب^(٦)
وقول البحتری :

لما مشين بذى الأراك تشابهاً أعطافٌ قضيبان به وقدود

(١) هو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، ومثله قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه من الإيضاح بعد الإبهام ؛ لأن المخصوص فيه مقدم في التقدير .

(٢) الصواب « نعم الرجل وبئس الرجل » لأن فاعلها يجب أن يكون بال أو مضافاً إلى ما فيه « ال » أو ضميراً مفسراً بتميز .

(٣) لأنها جملة استئنافية واقعة في جواب سؤال مقدر كما سبق في الوصل والفصل :

(٤) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، وإنما كان ذلك إبهاماً لأنه

لا تنافي بينهما في الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٥) تقييد الإتيان بكونه في عجز الكلام وكونه بمثنى غير صحيح ؛ لأن التوشيع قد يأتي في أول الكلام وفي وسطه ، وقد يكون في الجمع ، وهذا والتوشيع مأخوذ من التوشيع وهي الطريقة في البرد . فكان الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، ولهذا يعده بعضهم من أنواع البديع .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز ، وشبيهة خديها : الخمر في إشراقها ، والرقيب هو الذي

يرقبهما ليكدر صفوهما ، والشاهد في قوله : (في ليلين) وفي قوله : (وشمسين) .

فِي حَلَّتِي حَبْرٍ وَرَوْضٍ فَالتَّقَى وَشِيَانٍ : وَشَى رُبِّي وَوَشَى بُرُودٍ

وَسَفَرْنَ فَامْتَلَأَتْ عَيُونَ رَاقِهَآ وَرَدَانٍ : وَرَدَ جَنِي وَوَرَدَ خُدُودٍ (١)

ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ : وَإِذَا بَدَأَ الْخَاصُّ بَعْدَ الْعَامِ (٢) لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ تَنْزِيلاً لِلتَّغَايِيرِ فِي الْوَصْفِ مَنْزِلَةً التَّغَايِيرِ فِي الذَّاتِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٣) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٤) وَقَوْلِهِ : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾ (٥) .

التكرير : وَإِذَا بِالتَّكْرِيرِ ، لِنَكْتَةٍ ؛ كَتَأْكِيدِ الْإِنْذَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (٦) : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وَفِي « ثُمَّ » دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِي أْبْلَغُ وَأَشَدُّ (٧) وَكَزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى مَا يَنْفِي التَّهْمَةَ لِيَكْمَلَ تَلْقَى الْكَلَامَ بِالقَبُولِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (٨) : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا

(١) هِيَ لِلوَلِيدِ بْنِ عُبَيْدِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَحْتَرِيِّ ، وَذُو الْأَرَاكِ مَوْضِعٌ ، وَالْأَعْطَافُ جَمْعُ عَطْفٍ وَهُوَ الْجَنْبُ ، وَالْقَضْبَانُ : الْأَغْصَانُ ، وَالْقُدُودُ : الْقَامَاتُ ، قَوْلُهُ « فِي حَلَّتِي » مَتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ « مَشِينٌ » بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ ، وَالْحَلَّةُ كُلُّ ثَوْبٍ جَدِيدٍ أَوْ الثَّوْبِ عَمُومًا ، وَالخَبْرُ . ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ ، وَالوَشَى : النَّقَشُ ، وَالرَّبَى : جَمْعُ رَبْوَةٍ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَوَشِيهَا : نَبَتَهَا ، وَالْبَرُودُ جَمْعُ بَرْدٍ وَهُوَ ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ وَقَوْلُهُ « سَفَرْنَ » بِمَعْنَى أَظْهَرْنَ الْوَجْهَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَشِينِ الْمَحذُوفِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، وَالجَنَى مَصْدَرٌ « جَنَى الثَّمَرِ » تَنَاوَلَهُ مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَوَرَدَ خُدُودٍ مِنْ إِضَافَةِ الْمَشْبَهِ بِهِ لِلْمَشْبَهِ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ (وَشِيَانٍ) فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَفِي قَوْلِهِ (وَرَدَانٍ) فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ .

(٢) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بِطَرِيقِ الْعَطْفِ ، وَإِلَّا كَانَ مِنْ بَابِ الْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ .

(٣) آيَةُ ٩٨ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . (٤) آيَةُ ١٠٤ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

(٥) آيَةُ ٢٣٨ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٦) آيَةُ ٣ وَ ٤ سُورَةِ التَّكْوِينِ .

(٧) سَبَقَ فِي الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ جَعَلَهُ تَأْسِيسًا لَا تَأْكِيدًا لِیَصِحَّ عَطْفُهُ عَلَى مَا

قَبْلَهُ ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنَّهُ مَعَ مَخَايِرَتِهِ لَهُ يَفِيدُ تَأْكِيدَهُ ؛ لِأَنَّهُ يَكْفِي فِيهِ التَّكْرِيرُ فِي اللفظِ ، وَالتَّغَايِيرُ بَيْنَهُمَا لَيْسَ إِلَّا بِأَنَّ الثَّانِي أْبْلَغُ فِي الْإِنْذَارِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْمَرْتَبَةِ مَنْزِلَةً بَعْدَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَعْمَلَتْ فِيهِ « ثُمَّ » لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّنَدُّجِ فِي الْارْتِقَاءِ .

(٨) آيَةُ ٣٨ وَ ٣٩ سُورَةِ غَافِرٍ .

هذه الحياة الدنيا متاعٌ ﴿ وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام ؛ كما في قوله تعالى (١) : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوءَ بجهالةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وفي قوله تعالى (٢) : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وقد يكرر لتعدد المتعلق ؛ كما كرره الله تعالى من (٣) قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٤) لأنه تعالى ذكر نعمةً بعد نعمةٍ وعقب كل نعمةٍ بهذا القول (٥) ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمةٍ غير الغرض من ذكره عقيب نعمةٍ أخرى ، فإن قيل : قد عقب بهذا القول ما ليس بنعمةٍ ، كما في قوله : ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ (٦) وقوله : ﴿ هذه جهنم التي يكذبُ بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميمٍ آن ﴾ (٧) قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما - على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات - من آلائه تعالى (٨) . ونحوه قوله : ﴿ ويلٌ يؤمئذ للمكذبين ﴾ (٩) لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفةً وأتبع كل قصةٍ بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصةٍ : ويل يؤمئذ للمكذبين بهذه القصة .

(والإيغال) : وإما بالإيغال ، واختُلف في معناه ، فقيل : هو ختم البيت بما

يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ؛ كزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتُم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ (١٠)

-
- (١) آية ١١٩ سورة النحل .
(٢) من : بيان لما في قوله « كما كرره » لأنها اسم موصول .
(٣) آية ١٣ سورة الرحمن .
(٤) أي قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٦) آية ٣٥ سورة الرحمن .
(٥) آية ٤٣ ، ٤٤ سورة الرحمن .
(٦) يمكن أن يجاب أيضًا بأن الاستفهام في قوله ﴿ فبأى آلاء ﴾ ليس استفهامًا حقيقيًا عن نعمةٍ سابقةٍ ، وإنما هو تهديد على جهة نعمةٍ مطلقًا ، فتكون مناسبتة لما قبله من تهيبٍ أقوى من غيره .
(٧) آية ١٥ سورة المرسلات .
(٨) هو لثمّاض بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وقولها « لتأتُم » بمعنى لتقتدى ، والهداة: الذين يهدون الناس ، وإذا اقتتدت الهداة به فالهتدون بهم من باب أولى . وهذا البيت من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت
فى رأسه ناراً^(١) وقول ذى الرمة :

قف العيس فى أطلال مية وأسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل^(٢)

أظن الذين يُجدى عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمال المفصل^(٣)

وكتحقيق التشبيه^(٤) فى قول امرىء القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يُثقب^(٥)

فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله

« لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . ومثله قول زهير :

كان فئات العهن فى كل منزل نزلن به حبُّ الفنا لم يحطم^(٦)

فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا ما

لم يحطم . وكذا قول امرىء القيس :

(١) فقولها « فى رأسه نار » محل الشاهد ؛ لأن قوله « كأنه علم » واف بالمقصود وهو

تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة فى التشبيه .

(٢) هو لعلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والعيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف

جمع أعيس ، والأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق :

جمع خلق وهو البالى ، والمسلسل : الردىء النسج .

(٣) قوله « يجدى » بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير : يجديه ،

والتبذير : التفريق ، والجمال المفصل : اللؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تحجب سؤاله ، فيكفى لأنه لم

يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .

(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة المبالغة فى بيت

الخنساء ؛ لأن الغرض منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو المشبه الملحق به .

(٥) هو لحنج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمراد بالوحش : الظباء وبقر الوحش

التي يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء : ما كان من وبر أو صوف لا شعر وقام

على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحل : جمع رحل وهو المنزل

والمأوى . والجزع : حرز فيه سواد وبياض على شكل دوائر .

(٦) سبق هذا البيت فى ص ١٠٢ من هذا الجزء .

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَانَ سَنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ (١)

كما سيأتي (٢) .

وقيل : لا يختص بالنظم ، ومثّل بقوله تعالى (٣) ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ .

(التذييل) : وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها (٤) للتوكيد (٥) وهو ضربان :

* ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجَازِي إلا الكفور ﴾ (٦) ^(٦) إِن قُلْنَا : إن المعنى وهل نُجَازِي ذلك الجزاء (٧) وقال الزمخشري : وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عامٌ لكل مكافأة ، ويستعمل تارة في معنى العقاب ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى العقاب في قوله : ﴿ جزيناهم بما كفروا ﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل : ﴿ وهل نُجَازِي إلا الكفور ﴾ بمعنى وهل نعاقب (٨) ، فعلى هذا يكون من الضرب الثاني (٩) .

(١) هو لخدج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والرديني : رمح منسوب إلى رُدَيْنة وهي امرأة كانت تقوّم الرماح ، وسنا اللهب : ضوءه ، والشاهد في قوله « لم يتصل بدخان » .
(٢) في التشبيه من علم البيان .

(٣) آية ٢١ سورة يس فقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ إيغال ؛ لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء الرسل قطعاً ، والغرض منه زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) المراد باشمالها على معناها : إفادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى لا دلالتها عليه بالمطابقة ، إن هذا هو التكرير السابق ، ويشترط في الجملة الثانية ألا يكون لها محل من الإعراب ، وقيل : إن هذا غير شرط ، والفرق بين التذييل والإيغال : أن التذييل لا يكون إلا بجملة ويقصد منه التوكيد خاصة ، بخلاف الإيغال .

(٥) المراد بالتوكيد هنا معناه اللغوي وهو التقوية ، أما التوكيد في التكرير السابق فهو بمعناه الاصطلاحي .
(٦) آية ١٧ سورة سبأ .

(٧) أي السابق وهو جزاء الاستئصال لوروده في أهل سبأ الذين استئصلوا بالعقوبة ، فهو جزاء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشري .

(٨) فالجزاء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٩) لاستقلاله عما قبله . وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضاً .

وقول الحماسى :

فدعوا : نَزَالِ ، فكنتُ أوَّلَ نازلٍ ، وَعَلَامَ أَرْكُبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلْ (١)

وقول أبى الطيب :

وما حاجةُ الأَطْعَانِ حولك فى الدُّجى إلى قمرٍ ما واجدٌ لك عادمه (٢)

وقوله أيضاً :

تُسمى الأمانى صَرَعى دون مبلغه فما يقول لشيء : كَيْتَ ذَلِكَ لى (٣)

وقول ابن نباتة السعدى :

لم يُبقِ جودك لى شيئاً أوُمَّلهُ تركنتى أصحابُ الدنيا بلا أمل (٤)

قيل : نظر فيه إلى قول أبى الطيب ، وقد أرى عليه فى المدح والأدب مع

الممدوح ؛ حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئاً (٥) .

(١) هو لربيعة بن مقروم الضبى ، وقوله « نزال » اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، والمراد

النزول إلى الحرب ، والتذييل بقوله : « وعلام الخ » .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « ما » نافية ، والأطعان جمع

ظعينة وهى المرأة فى اليهودج ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، وعادمه : فاقده ، والمعنى :

أنهن لا يحتجن فى الدجى إلى قمر مع وجودها لأنها تقوم مقامه ، والتذييل بقوله : « ما واجد

لك عادمه » و « ما » فيه مصدرية ظرفية ، وواجد خبر مقدم ، وعادمه مبتدأ مؤخر .

(٣) الأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمنى ويطلب ، وصرعى : جمع صريع من « صرعه »

بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له يعنى أن ممدوحه سيف

الدولة لا يحتاج أن يتمنى شيئاً لأنه لاينقصه شيء . والتذييل : بقوله : « فما يقول » الخ .

(٤) هو لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة التميمى السعدى . وهذا هو

نسبه فى « وفيات الأعيان » وفى « اليتيمة » أنه عبد العزيز بن محمد بن نباتة ، ووفيات الأعيان

أدق فى باب النسب ، وقوله « أصحاب الدنيا » بمعنى أعيش فيها ، أو هى استعارة بالكناية بتشبيه

الدنيا برجل يصاحب .

(٥) فهو لم يجعل لممدوحه أمانى ، أما أبو الطيب فقد جعل لممدوحه أمانى وإن جعلها

غير متعذرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمانى فى بيته بمعناها المصدرى وأن يكون قوله « دون

مبلغه » بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون ممدوحه أيضاً فى حيز من تمنى شيئاً .

* وضربٌ يخرج مخرج المثل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً ﴾ (١) وقول الذيباني :

ولست بمسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ؟ (٢)
وقول الحُطَيْيَةِ :

تَزورُ فَتِي يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَكَارِمِ يَحْمَدُ (٣)
وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى (٤) : ﴿ وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلدَ أفانٍ مِتَّ فهِمُ الْخَالِدُونَ * كل نفس ذائقة الموت ﴾ فإن قوله : ﴿ أفانٍ مِتَّ فهِمُ الْخَالِدُونَ ﴾ من الأول ، وما بعده (٥) من الثاني ، وكل منهما تذييل على ما قبله .
وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام (٦) كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحقُّ الآية (٧) .
وإما لتأكيد مفهومه (٨) كبيت النابغة (٩) ؛ فإن صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجزه .

(١) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٢) هو لزيادة بن عمرو المعروف بالنابغة الذيباني يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله « لا تلمه » بمعنى لا تصمه . والشعث : في انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد في قوله « أي الرجال المهذب؟ » وهو استفهام إنكارى .
(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيفة ، وضمير « تزور » لناقته ، في قوله قبله :
فما زالت العوجاء تجرى ضفورها إليك ابن شماس تروح وتغتدى
ويريد بالحمد : الثناء عليه ، وبالمكارم : المحامد من الشعراء له ، وهو من قصيدة له في مدح بغيض بن عامر بن شماس ، ومطلعها :

أثرتُ إدلاجي على ليلِ حِرَّةٍ مَضِيمِ الحِشَا حُسَانَةَ المتجرِّدِ
(٤) آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الأنبياء . (٥) هو ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

(٦) المراد بالمنطوق المعنى الذي نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق . (٧) آية ٨١ سورة الإسراء .
(٨) المراد بالمفهوم المعنى الذي لم يُنطق بلفظه ، وهذا اصطلاح في المنطوق والمفهوم غير اصطلاح الأصوليين .
(٩) هو قوله السابق :

ولست بمسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ ؟

(التكميل) : وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى فى كلام
يُوهِمُ خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :

* ضرب يتوسط الكلام ؛ كقول طرفه :

فسقى ديارك - غير مُفسدها - صوب الربيع وديمة تهْمى (١)

وقول الآخر :

لو أن عزةً خاصمت شمس الضحى فى الحُسنِ عند موقِّ لقضى لها (٢)

إذ التقدير : « عند حاكم موفق » ؛ فقوله « موقِّ » تكميل (٣)

وقول ابن المعتز :

صَبَّبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَّاطِنًا فطارت بها أيد سراعٍ وأرجل (٤)

* وضرب يقع فى آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم
ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزَّة على الكافرين ﴾ (٥) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة

(١) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة ، والخطاب فى قوله « ديارك » لممدوحه وهو قتادة
بن مسَلمة الحنفى ، والصوب : المطر ، والديمة : المطر المسترسل ، وقوله « تهْمى » بمعنى
تسيل . والاحتراس فى قوله « غير مفسدها » لأن المطر المسترسل قد يُخرب الديار ، ومن أجل
هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار مَى على البلى ولا زال مُنهلاً يجرعائك القطرُ

وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتفى بذلك

فلا يحترس وألاً يكتفى به فيضم إليه الاحتراس .

(٢) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقوله « لقضى لها » بمعنى حكم لها

بأنها أحسن من الشمس . (٣) إذ ليس كل من يحاكم إليه موقفاً .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى « عليها » للخيل فى قوله قبله :

وخيل طواها السير حتى كأنها أنابيب سمرٍ من قنا الخطَّ ذُبُل

والسياط : جمع سوط ، وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس فى قوله « ظالمين »

لأن ضربها يكون غالباً من تناقل فى السير فدفعه بذلك . وقوله « وأرجل » أى سريعة ، فحذف

من الثانى لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٥) آية ٥٤ سورة المائدة .

على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل ﴿أعزة على الكافرين﴾ علم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلی^(١) لتضمينه معنى العطف؛ كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدي بعلی لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم^(٢).

ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له: «إني وليك الذي لا يزال تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً، ولذي الرهبة مهرباً».

وكذلك قول الحماسي:

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره
وما فوق شكري للشكور مزيد^(٣)

وكذا قول كعب بن سعد الغنوي:

حليم إذا ما الحلم زين أهله
مع الحلم في عين العدو مهيب^(٤)

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح، فقال «إذا ما الحلم زين أهله» فأزال هذا الوهم، وأما بقية البيت فتأكيد للآدم ما يفهم من قوله «إذا ما الحلم زين أهله» من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم

(١) مع أنه يتعدى باللام، فيقال «ذل له».

(٢) على هذا لا يكون في «أذلة» تضمين كما في الأول، وإنما يكون التجوز في استعمال «على» موضع اللام، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين، وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز.

(٣) هو من أبيات «الحماسة» ولا يعلم قائله وبعده:

ولو كان مما استطاع استطعته
ولكن ما لا استطاع شديد

والرهن بمعنى الحبس. والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزء وإرادة الكل. والبر: الإحسان، والاحتراس في قوله «وما فوق شكري الخ» لأنه دفع به ما يوهم عجزه عن شكره من أنه لم يقم بشيء منه، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للمبالغة في الشكر زيادة فوقه.

(٤) حليم: خبر مبتدأ تقديره هو. وقوله «إذا ما الحلم زين أهله» يريد به أنه لا يحلم إلا في موطن الحلم، ومهيب خبر ثان، وما قبله متعلق به. والتقدير: «مهيب مع الحلم، في عين العدو» والبيت من قصيدة له في رثاء أخيه أبي المغوار. وفيها يقول:

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة
لعل أبا المغوار منك قريب

زِينًا لِأَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَكُونُ حَلِيمًا حِينَ لَا يَحْسُنُ الْحَلْمَ لِأَهْلِهِ يَكُونُ مَهِيبًا فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ لَا مُحَالَةً ، فَعَلِمَ أَنَّ بَقِيَّةَ الْبَيْتِ لَيْسَتْ تَكْمِيلًا كَمَا زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ (١) .
ومنه قول الحماسي :

وما ماتَ منّا سيِّدٌ في فراشه ولا طُلٌّ منّا حيثَ كانَ قتيلٌ (٢)

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم ؛ لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم ؛ فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

وكذا قول أبي الطيب :

أشد من الرياح الهوج بطشاً وأسرع في الندى منها هبوباً (٣)

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله ولا لطفَ عنده ، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسماحة ، ولم يتجاوز في ذلك كل صفة الريح التي شبهه بها ، وقوله « وأسرع في الندى منها هبوباً » ؛ كأنه من قول ابن عباس رضي الله عنه : « كان صلوات الله عليه أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان كان كالريح المرسلة » (٤) .

(التتميم) : وإما بالتميم ، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود

(١) على هذا تكون من التذليل ، ولعله يعنى ببعض الناس صاحب « حسن التوسل » فقد ذكر أنه رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل ؛ لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه ، فقال « مع الحلم في عين العدو مهيب » .

(٢) هو للسموئيل بن عاديء ، وقوله « وما مات منّا سيّد في فراشه » كناية عن كونه لم يمت إلا مقتولاً في الحرب ، وقوله « طل » : بمعنى أهدر دمه ولم يقتص له ، وقد كمل حسن ما أتى به في ذلك بقوله « حيث كان » لأنه أبلغ في الشجاعة .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المنتبى ، وأشد: خير مبتدأ محذوف تقديره هو أى الممدوح ، والهوج : جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .

والبيت من قصيدة له فى مدح على بن محمد بن سيار ومطلعها :

ضروبُ الناسِ عشاقُ ضروباً فأعذرهمُ أشفهمُ حبيباً

(٤) على هذا يكون فى البيت اقتباس ، وهو من المحسنات الآتية فى علم البديع .

بفضلة تفيد نكتة^(١) كالمبالغة في قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٢) أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهاؤه والحاجة إليه ، ونحوه : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٣) وكذا: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾^(٤) وعن فضيل بن عياض : « على حب الله^(٥) فلا يكون مما نحن فيه^(٦) .

وفى قول الشاعر :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفُ^(٧)

وفى قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا - عَلَى عِلَاتِهِ - هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا^(٨)

(١) المراد بالفضلة المفعول ونحوه لا يتم أصل المعنى بدونه ؛ لأن هذا لا بد منه فى كل أنواع الإطناب ولا يختص بالتميم ، وبهذا يكون التتميم أخص من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقيد بها ، ويكون أعم منه من ناحية أنه قد يكون فى غير الآخر بخلاف الإيغال ، ويسمى التتميم « التمام » أيضاً .

(٢) آية ٨ سورة الانسان

(٣) آية ١٧٧ سورة البقرة .

(٤) آية ٩٢ سورة آل عمران .

(٥) فيكون الضمير لله لا للطعام .

(٦) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطناباً ، وإنما دخل فى أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شرعاً إلا إذا كان لله لا لرياء ونحوه ، ولا يرد مثل هذا فى الآية الثالثة ؛ لأن أصل المعنى يتم عند قوله : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾ .

(٧) لا يعلم قائله ، وقوله « أعرف من أين توكل الكتف » خير « إن » وهو كناية عن أنه داهية ؛ لأن الكتف توكل من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها ، وقوله « على ما ترين من كبر » تميم يقصد منه المبالغة أيضاً .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح هرم بن سنان ، والشاهد فى قوله « على علاته » والعلات جمع علة ، هى ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على السماحة عطف تفسير ، ومن ينكر عطف التفسير يجعل ذلك حشواً ، وقوله « خلقاً » بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

الاعتراض :

وإما بالاعتراض ، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى^(١) بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر فى تعريف التكميل^(٢) كالتنزيه والتعظيم^(٣) فى قوله تعالى :

﴿ ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ﴾^(٤) .

والدعاء فى قول أبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا^(٥)

فإن قوله « وحاشاك » دعاء حسن فى موضعه .

ونحوه قول عوف بن محلم الشيبانى :

(١) بأن يكون ثانيهما تأكيداً للأول أو بياناً له أو بدلاً منه أو معطوفاً عليه .

(٢) ما ذكر فى تعريف التكميل هى نكتة دفع الإيهام ، وغير دفع الإيهام يشمل التوكيد ، فيدخل فيما يأتى له الاعتراض ، والاعتراض على هذا التعريف يبين الإيغال لأنه لا يكون إلا فى آخر الكلام ، وكذلك التسميم لأنه فضلة فله محل من الإعراب ، وكذلك التكميل ؛ لأنه لنكتة دفع الإيهام ، ويشمل الاعتراض بعض صورة التذليل ؛ فيجتمعان فى كل جملة معترضة مشتملة على معنى ما قبلها ؛ لأنها تكون لنكتة التوكيد فتكون من الاعتراض والتذليل .

(٣) مثال للنكتة التى هى غير ما ذكر فى تعريف التكميل .

(٤) آية ٥٧ سورة النحل والاعتراض فى الآية : بقوله : ﴿ سبحانه ﴾ وهو جملة لأنه

مصدر نائب عن فعله .

(٥) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والضمير فى قوله « تحتقر »

لكافور الإخشيدى ، والمجرب : الذى جرب الأمور وعرفها ، والاستثناء اعتراض بين المفعولين ،

وهو استثناء لممدوحه مما يفنى ؛ لأن ذكره يبقى فى الدنيا والمستثنى منه « ما فيها » ، و« حاشا »

على هذا فعلية فتكون جملة ، والبيت من قصيدة له فى مدح كافور ، وقبلة :

فقد تهب والجيش الذى جاء غازياً لسائلك الفرد الذى جاء عافياً

إن الثمــــــــانين - وبلغتها - قد أحوجتُ سمعى إلى ترجمان^(١)

والتنبيه فى قول الشاعر :

واعلم - فعلمُ المرء ينفعه أن سوف يأتى كلُّ ما قدرا^(٢)

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علقُ بهما كقوله تعالى^(٣) :
﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله فى عامين ، أن اشكر
لى ولوالديك ﴾ .

والمطابقة مع الاستعطف ، فى قول أبى الطيب :

وخفوق قلبٍ لو رأيتَ لهيبه « يا جنتى » لرأيتَ فيها جهنما^(٤)

والتنبيه على سبب أمرٍ فيه غرابة ؛ كما فى قول الآخر :

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه^(٥)

فإن قوله « فلا هجره يبدو » يُشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه ، وغريب أن

(١) نسبة عوف إلى شيبان خطأ ؛ لأنه خزاعى من بنى سعد ، والشيبانى غيره ، كما جاء فى طبقات ابن المعتز ، وهو يخاطب بذلك عبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع لضعفه وكبره ، والترجمان: فى الأصل الذى يفسر لغة بأخرى ، والمراد به هنا مطلق المفسر والمكرر . والشاهد فى قوله « وبلغتها » لأنها دعاء أيضاً .

(٢) أنشد هذا البيت أبو على الفارسى ولم يعزه لأحد ، والشاهد فى قوله « فعلم المرء ينفعه » . وأن: مخففة من الثقيلة ، وهى وما بعدها فى تأويل مصدر مفعول « اعلم » .

(٣) آية ١٤ سورة لقمان . والمذكوران فى الآية الوالدان ، وأحدهما الأم .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى . وخفوق القلب: اضطرابه من الحب ونحوه ، والواو للعطف على « هم » فى قوله قبل البيت :

كفى أراتى ويك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجما

وخيالُ جسمٍ لم يُخلَّ له الهوى لحماً فينحله السقام ولا دما

والشاهد فى قوله « يا جنتى » والمطابقة بينه وبين « جهنم » وستأتى فى علم البديع .

(٥) هو للرمح بن أبرد المعروف بابن ميادة . واليأس: قطع الأمل من وصله ، وقوله « فنكارمه » بمعنى تبادلته التكرم بالوصل .

يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب ؛ فقال : « وفي اليأس راحة » لينبه على سببه .

وقوله تعالى : ﴿ لو تعلمون ﴾ ^(١) في قوله : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم ﴾ اعتراض في اعتراض ؛ لأنه اعتراض به بين الموصوف والصفة ^(٢) ، واعتراض بقوله : ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ بين القسم والمقسم عليه ^(٣) .

ومما جاء بين كلامين متصلين معني قوله : ﴿ فأتوهنَّ من حيث أمركم الله * إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم ﴾ ^(٤) فإن قوله ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ بيان لقوله : ﴿ فأتوهنَّ من حيث أمركم الله ﴾ يعنى أن المأتى الذى أمركم به هو مكان الحرث ؛ دلالة على أن الغرض الأصلي فى الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض ، وهو مما جاء أكثر من جملة أيضاً ^(٥) ونحوه فى كونه أكثر من جملة قوله تعالى : ﴿ قالت ربِّ إنى وضعتها أنثى * والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثى * وإنى سميتها مريم ﴾ ^(٦) فإن قوله : ﴿ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثى ﴾ ليس من قول أم مريم ^(٧) وكذا قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله نصيراً * من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ ^(٨) إن جعل ﴿ من الذين ﴾ بيانا للذين أتوا نصيباً من الكتاب لأنهم يهود ونصارى ، أو لأعدائكم ؛ فإنه

(١) آية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ سورة الواقعة .

(٢) هما : قسم عظيم .

(٣) هو (إنه لقرآن ﴾ .

(٤) آية ٢٢٢ ، ٢٢٣ سورة البقرة .

(٥) هذا على أن قوله : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ معطوف على مجموع « إن » واسمها

وخبرها ؛ وإلا كان من الاعتراض بجملة واحدة .

(٦) آية ٣٦ سورة آل عمران .

(٧) فهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فى قولها .

(٨) آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ سورة النساء .

على الأول يكون قوله : ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴾
اعتراضاً ، وعلى الثانى يكون ﴿ وكفى بالله ﴾ اعتراضاً ، ويجوز أن يكون ﴿ من
الذين ﴾ صلة لنصيراً^(١) أى ينصركم من الذين هادوا ، كقوله : ﴿ ونصرناه من
القوم الذين كذبوا ﴾^(٢) وأن يكون كلاماً مبتدأ على أن ﴿ يحرفون ﴾ صفة مبتدأ
محذوف تقديره : « من الذين هادوا قوم يحرفون » ؛ كقوله :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ وأخرى أبتغى العيشَ أكدحُ^(٣)

* وقد عُلِمَ مما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتى بغير واو ولا فاء قد يأتى
بأحدهما^(٤) .

* ووجهُ حسن الاعتراض على الإطلاق : حُسْنُ الإفادة ، مع أن مجيئةً مجيءً
ما لا معول عليه فى الإفادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تأنيك من حيث لا ترتقبها^(٥) .
* من الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرناه ، بل يُجوزُ أن تكون دفع
توهم ما يخالف المقصود ، وهؤلاء فرقتان :

(١) يعنى أن الجار والمجرور متعلق به ، وعلى هذا الوجه والذى بعده لا يكون فى الآية
اعتراض .

(٢) آية ٧٧ سورة الأنبياء ؛ فالجار والمجرور متعلق بقوله : ﴿ ونصرناه ﴾ كما جعل صلة
« لنصيراً » فى الآية السابقة .

(٣) هو لتميم بن أبى بن مقبل ، وقوله « أكدح » بمعنى أجهد نفسى فى العمل .
والشاهد فى أن قوله « منهما » صفة مبتدأ محذوف كما فى الآية على الوجه الأخير ، وتقديره :
فتارةً منهما أموت أى فيها ليربط الضمير الخبر بالمبتدأ ، وكذلك قوله « وأخرى أبتغى » فتقديره :
« وأخرى أبتغى العيش فيها ، وجملة « أكدح » فى موضع نصب على الحالية .

(٤) يسمى كل منهما واواً أو فاء اعتراضية ، وهى غير واو العطف وواو الحال . وقد
تشبه بالثانية فى نحو قوله تعالى : آية ٥١ ، ٥٢ سورة البقرة ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ،
وأنتم ظالمون ﴾ ثم عفونا عنكم ﴿ فتصلح لكل منهما بالقصد فإن قصد تقييد العامل بالجملة كانت
حالية ، وإن لم يقصد كانت اعتراضية ، والمعنى على الأول ﴿ ثم اتخذتم العجل حال كونكم
ظالمين باتخاذها . وعلى الثانى « وأنتم قوم عادتكم الظلم » فيكون اعتراضاً أتى به تأكيداً لظلمهم
بأمر مستقل لم يقصد ربطه بالعامل قبله .

(٥) هذه نكتة بدعية للاعتراض ويمكن أن يعد بها من المحسنات البديعية كما جرى عليه

بعضهم .

فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنًى ؛ بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنًى ، وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من الكشف : « فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل »^(١) ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملةً كان أو أكثر من جملة^(٢) .

وفرقة تشترط فيه ذلك ، لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ؛ فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً في أحد الموقعين^(٣) ، ومن التكميل ما كان واقعاً في أحدهما ولا محل له من الإعراب^(٤) جملةً كان أو أقل من جملة أو أكثر .

الإطناب بغير هذه الأنواع : وإما بغير ذلك^(٥) كقولهم « رأيتُه بعيني » ومنه قوله تعالى^(٦) : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ أى هذا الإفك ليس إلاً قولاً يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلب ، كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان ، وكذا قوله ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾^(٧) لإزالة توهم الإباحة^(٨) كما فى نحو قولنا « جالس الحسن وابن سيرين »

(١) أى مطلقاً ، لأن التذييل يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب كما سبق فى أمثله ، كما أن الاعتراض يجب فيه ذلك ، فىكون التذييل أخص منه ؛ لأنه لنكتة التوكيد فقط ، والاعتراض عندهم أهم ؛ لأنه يكون لنكتة التوكيد وغيرها كما سبق .

(٢) فىكون بينهما عموم وخصوص من وجه ، وقد أطالت حواشى التلخيص فى بيان النسب بين أقسام الإطناب بشكل يفسد الذوق البلاغى ، فلا تفسده بهذا مثلاً .

(٣) يعنى بأحدهما أن يقع فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين .

(٤) إنما قيده بهذا لأنه لا خلاف بينهم فى تقييد الاعتراض به ، فلا يشمل من التكميل إلا ما كان كذلك ، ولكن الظاهر أن هذه الفرقة لا تقييد الاعتراض بما قيده به غيرها من كونه لا محل له من الإعراب ، لأنها تجوز أن يكون مفرداً ، ومن شأن المفرد أن يكون له محل من الإعراب . (٥) عطف على قوله فيما سبق « إما بالإيضاح بعد الإبهام » .

(٦) آية ١٥ سورة النور ، ومحل الشاهد ﴿ وتقولون بأفواهكم ﴾ لأن القول لا يكون إلا

بالأفواه ، فذكرها بعده إطناب . (٧) آية ١٩٦ سورة البقرة .

(٨) أى فى قوله قبله : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحجّ وسبعة إذا رجعتم ﴾

ولكنه على هذا يكون من التكميل ، مع أنه بصدد ذكر أقسام أخرى للإطناب .

وليعلم العددُ جملةً كما علمُ تفصيلاً ؛ ليُحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفي أمثال العرب « علمان خيرٌ من علم » وكذا قوله ﴿ كاملة ﴾ تأكيد آخر ، وقيل : أى كاملةً في وقوعها بدلا من الهدى ، وقيل : أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية ، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور^(١) لم تكن كاملة^(٢) وكذا قوله : ﴿ الذين يحملون العرشَ ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾^(٣) فإنه لو لم يقصد الإطناب لم يذكر ﴿ ويؤمنون به ﴾ لأن إيمانهم^(٤) ليس مما ينكره أحد من مثبتيهم ، وحسن ذكره إظهارُ شرف الإيمان ترغيباً فيه^(٥) وكذا قوله : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾^(٦) فإنه لو اختصر^(٧) لترك قوله : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ لأن مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة كما مر^(٨) وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر^(٩) ونحوه قول البلغاء « لا وأصلحك الله »^(١٠) وكذا قوله تعالى^(١١) إخباراً عن موسى ﴿ هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي وليَ فيها مآربٌ أخرى ﴾ وحسنه أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمرٌ عظيم يحدثه الله تعالى في العصا ؛ فينبغي أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له

-
- (١) هو أن يكون ثلاثة منها في الحج وسبعة عند الرجوع إلى الأهل .
(٢) أى شرعاً وإن كانت كاملة عدداً .
(٣) آية ٧ سورة غافر .
(٤) أى الذين يحملون العرش وهم الملائكة .
(٥) إنما لم يكن اعتراضاً بين ما قبله وما بعده لأن الواو فيه عاطفة لا اعتراضية ، ولأن له محلاً من الإعراب ، والاعتراض لا محل له .
(٦) آية ١ سورة المنافقون .
(٧) يريد بالاختصار ترك الإطناب فيشمل المساواة ؛ لأنه عند ترك هذا يكون الكلام من المساواة لا من الإيجاز ، والاختصار كما يطلق على الإيجاز يطلق على ما يشمل المساواة .
(٨) أى في الكلام على صدق الخبر وكذبه في الجزء الأول ، فقد سبق فيه أن مساقها لتكذيبهم في ذلك لا لتكذيبهم في قولهم : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ .
(٩) إنما دفع ذكره توهم ذلك لأن التكذيب لا يرجع إليه ، فيبقى دالاً على صحة المشهود به في نفس الأمر .
(١٠) فالواو فيه إطناب لدفع توهم خلاف المراد .
(١١) آية ١٨ سورة طه .

التفاوت بين الحالين^(١) وكذا قوله تعالى^(٢) : ﴿ نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ وحسنه إظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل^(٣) .

الإيجاز والإطناب النسبيان : واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب^(٤) باعتبار كثرة حروفه وقتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى^(٥) كالشطر الأول من قول أبي تمام :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سوَّدٌ ولو برزت في زىِّ عذراءِ ناهدٍ^(٦)

وقول الآخر :

ولستُ بنظَّارٍ إلى جانبِ الغنى إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ^(٧)

(١) لو اختصر لقال (هي عصاي) ولم يزد عليه ، لأن الجواب يكون حيثنذ على قدر السؤال ، وهو قوله قبله : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ ﴾ .

(٢) آية ٧١ سورة الشعراء .

(٣) لو اختصروا لقالوا ﴿ نعبد أصناماً ﴾ ولم يزيدوا عليه لأن الجواب يكون حيثنذ على قدر السؤال ، وهو قول إبراهيم لهم قبله ﴿ ما تعبدون ؟ ﴾ .

(٤) الواو بمعنى « أو » كما هو ظاهر .

(٥) فيقال للأكثر حروفاً : إنه مُطَنَّبٌ وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إيجازاً . ويقال للأقل حروفاً : إنه موجز ، وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إطناباً :

(٦) هو لجبيب بن أوس المعروف بأبي تمام من قصيدة له في مدح محمد بن الهيثم ومطلعها :

قفوا جدِّدوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشدان ناشد

وقوله « عن » بمعنى ظهر ، والعذراء : البكر ، والسناهد : بارزة الثدي؛ يعنى أنه لا يهمه أمر الدنيا في مواطن الجود بالمال .

(٧) هو للمعدَّل بن غيلان الفيصى ، وقيل : إنه لأبى سعيد المخزومى ، وقد نسب في طبقات الشعراء لابن المعتز إلى أبى يعقوب الخزيمى ، وهو من قصيدة له فى الفخر مطلعها :

ثقى بجميل الصبر منى على الدهر ولا تتقى بالصبر منى على الهجر

والنظار: صيغة مبالغة ، ولكن النفى وارد على أصلها ، فلا يقتضى أن يكون أصل النظر إلى الغنى موجوداً ، ويجوز أن تكون صيغة نسب كعطار ونحوه ، وهذا البيت إطناب بالنسبة للشطر الأول من بيت أبى تمام ، كما أن هذا الشطر إيجاز بالنسبة إليه ، وإن كان كل منهما على التفسير السابق للثلاثة من المساواة ؛ لأن مثل هذه العبارة فيهما يجرى فى متعارف الأوساط .

تمرينات على الإيجاز والإطناب والمساواة

تمرين - ١

(١) بين موضع الإطناب والداعى إليه فى قول الشاعر :

تأمل من خلال السَّجْفِ وانظر بعينك ما شربتُ ومن سقانى

تجد شمسَ الضحى تدنو بشمسٍ إلى من الرحيق الخسروانى

(٢) من أى أنواع الإيجاز قول بعض الأعراب : إن شككت فى فاسأل قلبك

عن قلبى ؟

تمرين - ٢

(١) بين نوع الإيجاز والداعى إليه فى قوله تعالى آية ٣ ، ٤ ، ٥ سورة الفجر

﴿ والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل فى ذلك قسمٌ لذي حجرٍ ﴾ .

(٢) لماذا كان من المساواة قول بعض البلغاء : علمتى نبوتك سلوتك أسلمنى

ياسى منك إلى الصبر عنك .

تمرين - ٣

(١) يعدون من المساواة قوله تعالى آية ٢١ سورة الطور ﴿ كلُّ امرئٍ بما كسب

رهين ﴾ فهل ترى أنها منها أو من إيجاز القصر ؟

(٢) هل من المساواة أو الإيجاز أو الإطناب قول الشاعر :

يقول أناسٌ : لا يضيركُ فقدها بلى كل ما شَفَّ النفوس يضير

تمرين - ٤

(١) من أى أنواع الإيجاز قوله تعالى آية ٢٢ سورة الزمر : ﴿ أفمن شرح الله

صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى

ضلالٍ مبين ﴾ .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

المشرقان عليك يتتجان قاصيهما فى ماتم والدانى

تمرين - ٥

(١) بين موضع الإطناب ونوعه فى قوله تعالى آية ٥ ، ٦ سورة الانشراح ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع العسر يسراً﴾ .

(٢) كيف يكون من الإيجاز قوله تعالى آية ٣ سورة الطلاق ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ مع أنها جملة مستوفية كل أجزائها ؟

تمرين - ٦

(١) لماذا عدّ من الإخلال قول بعضهم : « فإن المعروف إذا زجا ، كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ » « زجا » بمعنى تيسر ، وفى رواية « وحى » بمعنى أسرع .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

لَوَ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا

تمرين - ٧

(١) أيهما أعلى مقاماً فى البلاغة : الإيجاز أو الإطناب ؟ وهل هناك فرق بين الإيجاز فى غير موضعه والإخلال ؟ وبين الإطناب فى غير موضعه والتطويل ؟ .

(٢) بين خلافهم فى منزلة المساواة من البلاغة ، واذكر رأيك فيه .

* * *

مباحث الجزء الثانى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٦	أحوال الوصل والفصل :		• الباب الخامس : القول فى
٥٧	الوصل للاشتراك فى الحكم	٣	القصر
٥٨	الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم ..	٣	أقسام القصر
٥٨	الوصل بغير الواو من حروف العطف	٨	تمرينات على أقسام القصر
٥٩	الفصل لعدم الاشتراك فى القيد ...	٩	• طرق القصر : العطف
٦٠	أحوال أخرى للفصل	١٠	النفى والاستثناء
٦٢	الأول : كمال الانقطاع	١١	إنما
٦٧	الثانى : كمال الاتصال	١٣	التقديم
٦٨	الثالث : شبه كمال الانقطاع	١٤	فروق طرق القصر
٧٣	الرابع : شبه كمال الاتصال	٢٦	تمرينات على طرق القصر
٧٣	الوصل لدفع الإيهام	٢٨	• الباب السادس : الإنشاء : التمنى
٧٦	الوصل للتوسط بين الكمالين	٣٠	الاستفهام
٨٠	الجامع بين الجملتين وأقسامه	٤٥	تمرينات على التمنى والاستفهام
٨١	محسنات الوصل	٤٦	الأمر
٩٤	فروق الجملة الحالية	٤٩	النهى
	تمرينات على الوصل والفصل	٥١	النداء
٩٦	• الباب الثامن : القول فى	٥٣	تنبيه
	الإيجاز والإطناب والمساواة	٥٤	تمرينات على الأمر والنداء
	تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب		• الباب السابع : القول فى
٩٦	والمساواة	٥٥	الوصل والفصل
٩٧	تعريف الخطيب	٥٥	تعريف الوصل والفصل

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	الإيغال	٩٨	الإخلال - التطويل - الحشو
١٢٢	التذيل	١٠٣	● القسم الأول : المساواة
١٢٥	التكميل		● القسم الثاني : الإيجاز - إيجاز
١٢٧	التميم	١٠٤	القصر
١٢٩	الاعتراض	١٠٧	إيجاز الحذف
١٣٣	الإطناب بغير هذه الأنواع	١١٧	● القسم الثالث : الإطناب
١٣٥	الإيجاز والإطناب النسبيان		أقسام الإطناب : الإيضاح بعد
	تمرينات على الإيجاز والإطناب	١١٧	الإبهام وفروعه
١٣٧	والمساواة	١١٩	ذكر الخاص بعد العام
١٣٩	الفهرس	١١٩	التكرير

رقم الإيداع : ١٤٥٨٥ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولي : 8 - 288 - 241 - 977 - I.S.B.N.